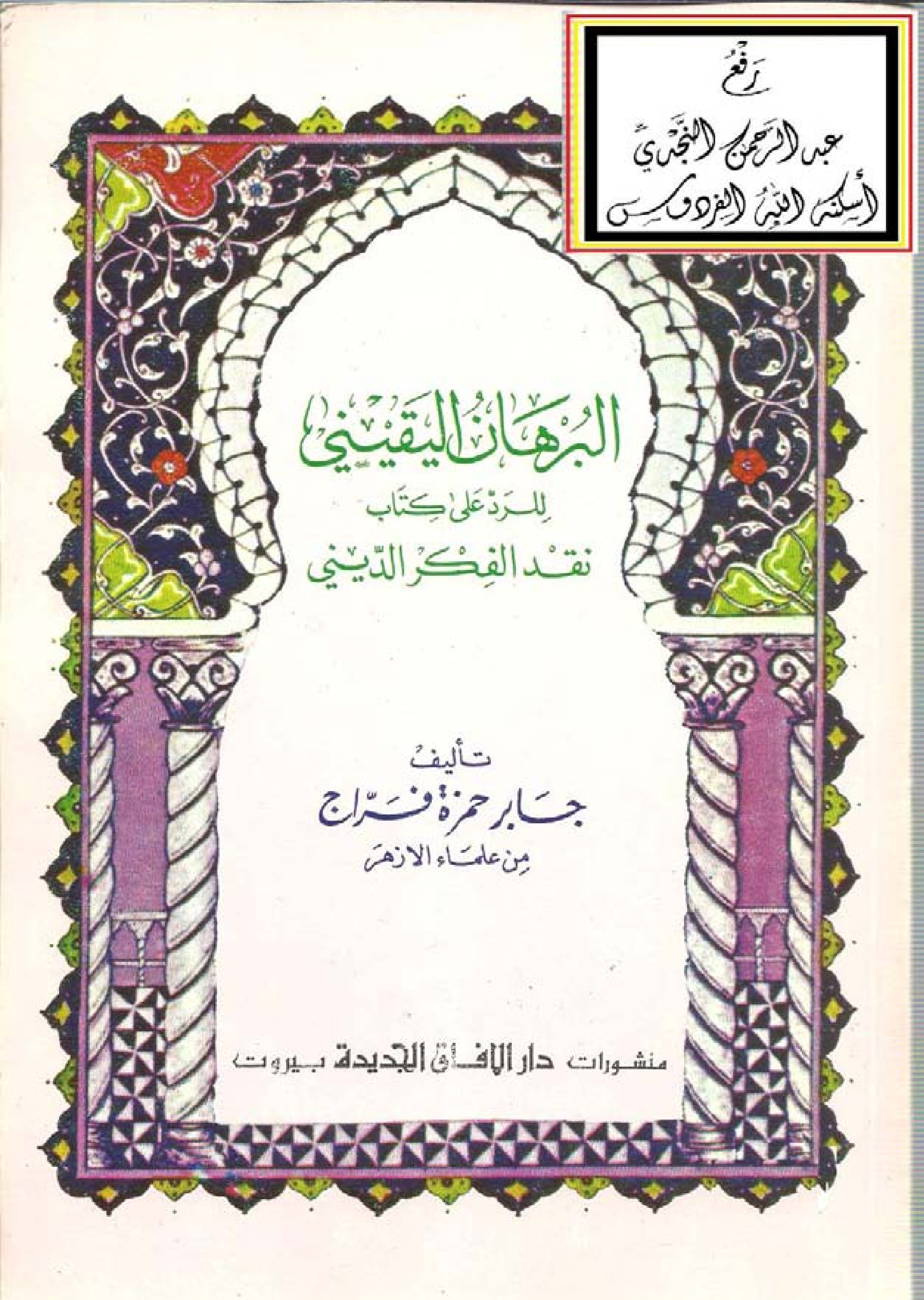

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
البرهان اليقيني
للرد على كتاب
نقد الفكر الديني
تأليف
جابر حمزة فراج
من علماء الازهر
منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

البرهان اليقيني

للرد على كتاب

نقد الفكر الديني

البرهان اليقيني

للرد على كتاب نقد الفكر الديني

تأليف
جابر حمزة فراج
من علماء الازهر

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الثالثة
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

لمسات ... وصفعات

من كلام فضيلة الاستاذ الجليل
الشيخ محمد فهيم أبو عبيه رئيس بعثة الأزهر بلبنان

* * *

أرى من واجبي أن أقدم للقارىء الكريم نفحة من النفحات التي فاض بها القلب .. وسكبها الوجدان .. وصاغها الضمير .. لتسري في مسمع الوجود .. لمسة حنان .. ومسحة حب .. وأغنية روح .. ونزهة خاطر .. لكل من صافح الإيمان عقله وفكره .. ونزل اليقين أعماقه وصدره ...

ولتبقى على متن الزمان .. صيحة حق .. ونذير شؤم .. ولهيب نار .. ولظى جحيم .. وصفعة غيظ .. على وجه كل ملحد لئيم .. تمرد على خالقه .. وانسلخ من عقيدته ... وهذه النفحة اقتطفتها من دوحة عالم جليل .. وأستاذ مفكر .. ورائد متحفز ... ألا وهو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ « محمد فهيم أبو عبيه » رئيس بعثة علماء الأزهر الشريف في لبنان .. الذي تصدى بدوره لنصرة الحق .. وإزهاق الباطل ... وانبرى بيقينه داعيا للخير .. ضاربا الضلال في هيكله الكئيب .. وعظمه البالي .. حين قال مرتجلا عبر الأثير ومرآة الصحف ، تحت عنوان : « إنها حرية الكفر وليست حرية الفكر » ...

« أم خُلقوا من غير شيءٍ أم همُ الخالِقون أم خَلقوا السموات والأرضَ بل لا يُوقِنون » ..

وإذا لم يكن الإنسان قد خلق من طين فهل خلق من عسل .. الحرية الحقيقة قيمة مقدسة في الإسلام ...

حرية الكلمة : سأل سائل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد عند الله عز وجل فقال لسائله : « أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر » ... ومن هديه عليه الصلاة والسلام قوله: لا يحقرن أحدكم نفسه. قيل يارسول الله: وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ فقال : يرى أن لله عليه مقالا ثم لا يقول فيه ... ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقصة ما لم يستخفوا بحقها .. قيل وماالاستخفاف بحقها يا رسول الله ؟ قال : يرى العمل بمعاصي الله فلا ينكرها ولا يغير » . أحاديث ثلاثة صحاح من أحاديث كثيرة صحيحة وردت على لسان محمد ﷺ الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى .. وهي جميعها تؤكد حقيقة دينية إسلامية كبيرة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. وهي حماية الإسلام لحرية الكلمة وحريتها للرأي وكرامته ليعيش المؤمن فيظلال من هذه الحرية مطمئن النفس والضمير .. يقول كلمته ويسوق رأيه مساهما به في بناء المجتمع وخدمة الناس .. وبهذا صان الإسلام كرامة الفرد عن طريق صيانته لحريته .. وللإسلام رأيه الواضح الذي لا خفاء فيه في منح المسلم حريته كاملة وفي إعطائه الإنسانحرية في الرأي والعقيدة وفي شئونه المدنية والسياسية .. لأن كرامة الإنسان الحقيقية من هنا تبدأ .. وعلى هذا الأساس ترتكز .. وليست تكمل إنسانية الإنسان حين يرضى بقيد حريته أو شل إرادته أو غل عنقه .. ولعمر رضي الله عنه كلمته الحكيمة:« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .؟ » .. ذلك أيها الناس موقف دين الإسلام يحمي حمى الكرامة الإنسانية ويحفظ للإنسان حقيقته .. ويريد للمسلم أن يعيش

عزيزا لا يذل مهتديا لا يضل حرا لا يستعبد قويا لا يضعف ولا يستكين .. ومن هنا طلب الإسلام إلى المسلم أن يقول كلمته مطمئن الخاطر وأن يسوقها في مثل وضوح الشمس ليس فيها لبس ولا خفاء .. على أنه فرض على القائل أن تكون كلمته في نطاق الحرية وإطار الخير ووجهة الإصلاح وخدمة الجماعة وأن تكون سندا للقيم العليا في الأديان .. والقيم العليا في الإنسان . وأن لا تستهدف الخير بالتهديم والتحطيم ومحاولة الإذابة والإزالة .. سيرا وراء شهوة أو تأثرا بضغينة .. أو اتباعا لاتجاهات منقطعة عن السماء محررة من الضياء جافة من الخير عارية على الإنسان وعلى حرية الإنسان وعلى كرامة الإنسان .. ولهذا فإن ما ورد على لسان النبوة الخاتمة يطلب إلى المسلم أن يقول كلمته إنما يحدد هذه الكلمة بحدود الحق لتنفع ولا تضر وتبني ولا تهدم وتصون ولا تخون . فإذا هو قالها على هدى من الإسلام كان كريما على نفسه كريما على الله .. وإذا هو حبسها لرغبة أو رهبة كان صغير الشأن عند الناس وعند الله .. لأن كلمة الحق هي ميزان القيمة الحقيقية للإنسان المسلم ..

وإذا كان من يخشى أن يقول كلمته الصالحة المصلحة صغيرا حقيرا في نظر الإسلام ونبي الإسلام فإن أصغر منه شأنا من يقول الكلمة للهوى ومن يسوقها لمطمع ومن يقصد بها تحطيم قيم لا تقوم كرامة الإنسان بسواها وذلك شر ما يصاب به المجتمع .. من واجب المسلم أن يقف أمام الباطل يرده ويصده ويدفعه وأن يحذر الغرور بالدعاوى العريضة المريضة أجهزة مشبوهة متعددة معها المال ومعها القوى المادية الكثيرة لتنثر في وجه المعتقدات أباطيل لا يقرها عقل ولا يؤيدها برهان ولا يرتضيها خلق ولا تصلح بها أمور الأفراد ولا أمور الجماعات ..

الحرية والفوضى : — إن الإسلام يكرم الحرية على ألا تتعدى حدودها ولا تتخطى معناها فإنها إن تجاوزت الحدود وتخطت السدود كانت فوضى مجلبة للشر مقوضة للخير .. ولهذا فإن دين الله على اتساع رحابه وانفتاح

أبوابه لا يسمح بانطلاق الكلمات الملحدة التي ترمي إلى نزع الإيمان من القلوب وتحطيم المجتمع المسلم بضربه في صميم عقيدته .. والكلمة إذا عقلهـــا الحق وقادها الخير كانت من أقوى عوامل البناء للحياة الإنسانية الكريمة .. فإذا هي استعصت على نواميس الحق والخير كانت إعصارا مدمرا للقيم ـ عـاملا على النزول بالإنسان من آفاق روحه ومن آفاق وجدانه الطهور وآفاق صلاته بالله إلى درك حيواني بليد لا يعرف إلا المادة ولا يؤمن إلا بها ولا يرتبط إلا بالدنيا ولا يدرك ما وراءها .. تلك كلمات هذي يجب أن تحارب صيانـــة للأفراد والجماعة وحفاظا على سلامة الفضائل والأخلاق في دنيـــا الناس .. « ولو اتَّبعَ الحقُّ أهواءَهُم لفسدتِ السَّمٰوات ُ والأرضُ ومن فيهنَّ» ...

ومن هنا كان من الواجب على كل مصلح أن يقف بالمرصاد لأولئك الذين يزرعون الشر بغوغائية الفكر فيهم واضمحلال العقيدة الصحيحة في ضمائرهم.. ليردوا سيلهم الشرير ويحولوا بين الناس وبين خطرهم الكبير .. وهو موقف تقتضيه طبيعة الحرية نفسها ويستوجبه الحرص على سلامة البناء الاجتماعي من أن تقوضه نزعات الشر وفلسفات الإلحاد .. وإنه لمن الواجب على كل صاحب قلم أن يحاسب نفسه على ما يجري به قلمه .. وعلى كل ذي لسان أن يمسك لسانه عما لا ينفع من القول .. فالكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء والكلمة الخبيثة كالأفعى تنفث السموم فتؤذي وتقتـــل .. من حقنا وحق الفكر الصحيح علينا أن نسأل أولئـــك المجددين المقلدين الملاحدة وأن نسأل معاضديهم ومؤيديهم من حملة الأقلام وأدعيـاء الثقافة : أين قداسة الفكر وحريته في دعوى طائشة ترفض الإيمان بالغيب وأين موقف العلم الذي يتسمون به ويتمرغون في ترابه ويوهمون الأغرار أنهـــا نساك في محرابه وهو منهم بعيد بعد الحق من الضلال والقبح من الجمال والتبعية من الاستقلال ؟.

العلم يؤمن بالغيب : — أين موقف العلم منهم حين يرفعون عقائرهم بإنكار

الغيب والعلم يؤمن به وعلى أساس من إيمان يسير كل يوم خطوة بعد خطوة يرفع أستار المجهول .. ويرى من المستور المأهول .. ولولا إيمان بالغيب لوقف ولم يسر وعجز ولم يطر ووقفت معه الإنسانية في عتبة طفولتها لا تريم .. ولولا أن هنالك غيبا يؤمن به العلم ما كانت التجاريب المتصلة عبر العصور تقدم كل يوم للإنسان بصيصا من نور .. إن صعود الإنسان المعاصر للقمر كان نتيجة حتمية لإيمان وثيق بأن في القمر غيبا يجب أن يعرف ومحجبا يفترض أن يكشف .. وإن سلسلة المحاولات العلمية الرائعة التي وصلت بالإنسان الرائد للفضاء إلى سطح ذلك الكوكب الوضاء إنما هو استجابة لإيمان واثق بأن هناك قوانين خفية إذا أزيل عنها الحجاب رفعت الإنسان إلى القمر .. وعلى هذا سار الإنسان إلى القمر يحدوه إيمانه وبحثه وفكره العلمي وطرق أول باب للفضاء .. وحين صعدوا قالوا إن في القمر جوانب لا تزال غيبا من الغيب .. وبدأت جهود العلماء تواصل السير لمعرفة كل جوانب المجهول في القمر المنير ...

والعلم لا تغمض له عين ولا يهدأ له جفن بحثا عن السر الرهيب الذي يحصد أرواح البشر بورمه الخبيث رجاء أن يعرف حقيقته ويقتل جرثومته .. ومعاهد السرطان المبثوثة في مؤسسات الطب العالمية في كل بلاد الدنيا هي حجج الاثبات بنيت على إيمان العلم بالغيب . ويوما سيصلون إلى اكتشاف سر الداء للقضاء على هذا الوباء . ولعلهم يهتدون إلى أعراضه المتمكنة من بعض النفوس وبعض العقول فكفرت أصحابها بالله وبالرسول وأرادت لهم أن يكونوا من اعداء المجتمع فيقطعوه عن دينه ويلقوا به في غياهب المجهول ...

بين الفكر والكفر : — نحن لا نحارب الحرية لأنها مصونة بأمر الله وحكم الإسلام ولكننا نصادم الانحراف ونقاوم الشطط ونحارب الغلط ونقف بكل إيماننا أمام الدعوات الباطلة التي تريد ضرب منطقتنا المؤمنة بالله في صميمها عن طريق تجريدها من دينها وعقيدتها وهدم بنائها النفسي وهي تخوض معاركها

وتعيش أشد لحظات تاريخها وتقاوم ألد أعدائها الذين تجمعوا عليها من كل جانب ليأكلوها ويقضوا عليها .. إننا نقف بثبات أمام أولئك الذين يتشدقون بحرية الفكر وكرامة العلم ليشغلوا بها الناس عن معاول هدمهم التي يحاولون بها تقويض المجتمع العربي والمجتمع المسلم ، والهبوط به إلى درك من الحيوانية يائس من الله حتى لا تتوافر له أسباب النصر في معركته المصيرية التي يخوضها ..

إنها ليست حرية فكر ولكنها حرية كفر .. إنها ليست حرية تفكير ولكنها حرية تكفير ... على المفتونين بالعلم بعيدا عن الله وقدرته أن يضعوا أيدينا على خلق من خلق العلم . هل هو الذي أوجد القمر ؟ هل هو الذي أجرى السحاب ؟ هل هو الذي خلق الكواكب ؟

« قلْ أرَأيْتُم ما تَدْعُونَ من دونِ الله أرُوني ماذا خلَقوا من الأرضِ أم لهم شِركٌ في السَّمٰوات إيتوني بكتابٍ من قبْلِ هذا أو أثارَةً من عِلْمٍ إن كُنتمْ صادِقين » .

« يا ايُّها الناسُ ضُرِبَ مثلٌ فاستمِعُوا له إنّ الذينَ تدْعون من دونِ اللهِ لن يَخلُقوا ذُباباً ولو اجتمَعوا له وإن يَسلُبهمُ الذُّباب شيئا لا يستنْقِذوهُ منه ضَعُفَ الطّالِب والمطلوب » ..

إن الذين ينكرون الغيب باسم الفكر وباسم العلم هم أعداء للفكر والعلم معا وهم ينطقون باسمها زورا وبهتانا .. فالعلم لا يصادم عقائد السماء ولا يفصل بين الإنسان وبين خالقه بل إنه ليرتفع بصاحبه في آفاق من النور تزيل عنه الحجب وتعرفه على خالق الكون ... يقول كريسي موريسون الرئيس السابق لأكاديمية العلوم في نيويورك أن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة .. ويقول إينشتاين أعظم علماء الدنيا

في الكون وظواهره إن الشعور الديني الذي يستشعره الباحث في الكون هو أقوى حافز على البحث العلمي وأنبل حافز، ثم يقول: إن ديني هو إعجابي في تواضع بتلك الروح السامية التي لا حد لها. تلك التي تتراءى في التفاصيل الصغيرة القليلة التي تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة، وهو إيماني العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للأفهام إن هذا الإيمان يؤلف عندي معنى الإيمان بالله ...

إن الإيمان بالغيب فطري في النفس البشرية. وإن الإيمان بالله طبيعي في الإنسان فكل محاولة لنزع هذا الإيمان إنما هي محاولة لنزع الإنسان عن فطرته وعزله عن طبيعته ...

نحن نقول لاولئك المتمسحين بالعلم: هاتوا لنا قضية واحدة يتصادم فيها الإسلام وحقيقة علمية قطعية فإذا عجزتم فكفوا ألسنتكم وكموا أفواهكم وحطموا أقلامكم فان القلم في يد دعيّ الفكر أشد خطرا على الحياة والأحياء من أخطر الأوبئة .. وقولوا لهم إن حضارة الإنسان المعاصر أخذت من حضارة الإسلام أهم عناصرها ولكنها حين تخلت عن الدين أصبحت شرا على الإنسان وأمن الإنسان وكرامة الإنسان وحرية الإنسان .. وسلوهم أين الحرية التي يتشدقون بها في تلك الحروب الدوامي التي تشنها القوى الباغية على الآمنين طمعا في البلاد وظلما للعباد ... وقولوا لهم إن كل علم لا يدعم استقرار الإنسان وأمنه وحريته ولا يصون وجوده وكرامة وجوده فإن الجهل أفضل منه .. وأكدوا لهم قبل ذلك وبعد ذلك أن العلم الحقيقي بريء مما يصفون فإنه لا ينكر الله ولا غيب الله وإن العلماء الكبار الكبار قرروا أن هذه الدنيا تسلم لما بعدها .. إن الأديان السماوية حراس بالحق على القيم الإنسانية العليا وعلى مبادىء الحياة الفضلى وعلى كرامة الإنسان ليعشها غير مجروحة .. فإذا جاء مفكرون يعكرون الصفو ويسوقون دعواهم ضد السماء

بغير برهان ولا دليل فإنهم أعداء لنا ولمجتمعنا .. وأن حربهم ضريبـــة من ضرائب وطنيتنا وضرائب إيماننا بالله ورسله وبالحق الذي تنزلت به رسالات السماء ...

يقولون : إن الإنسان لم يخلق من طـين ونحن نقول لهم : أشهدتم خلق الإنسان يوم خلق ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون .. هــل خلق الإنسان من عسل ؟ أم خلق من قنابل النابالم ؟ أم خلق من الدولار الأمريكي ؟ أم خلق من الاسترليني ؟ أليس يتغذى الإنسان مما تنبت الأرض فإذا ترك الحياة عاد إليها وتحلل جسمه فيها وأصبح بعض عناصرها ؟ « منها خلقناكم وفيهــا نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فأي دليل أقوى من هذا الدليل على خلق الإنسان من طين .؟

مرحباً بالكلمة تشرق وتنير .. وبالفكر يهدي ويرشد .. وبالعلم يسير في طريقه الصحيح .. إن الإسلام يرحب بذلـــك جميعه ويحض عليه ويثيب ...

أما الأفكار الضارة الهدامة فإنها من الأوبئة التي يجب أن يحمى الوطن والمواطنون من شرورها وآثامها ...

وكلمة أخيرة للكتاب الماركسيين الماديين الأرضيين الملاحدة الذين يتخذون من أنشودة الفكر والعلم مظلة تقيهم وسقفا يحفظهم ويحميهم وهم يصولون في أرضنــا ويجولون أرض محمد وعيسى عليهما السلام وأرض المسيحية والإسلام وأرض المسجد الأقصى والمسجد الحرام أرض المقدسات التي عاش في ظلالها العلم والفكر والإيمان وفي ظلالها تفجرت ينابيع المعرفة التي سارت بالإنسانية في طريق الرشاد والسداد والمدنية .. إن ديننا هو دين الحرية بأكمل معانيها وأجمل مبانيها وأعمق مفاهيمها في الاعتقــاد والسياسة والاجتماع والرأي .. ولكن هنالك فرقا كبيرا بين التحرر والتحامل .. وبين الحرية والإلحاد .. وبين العلم والإفساد .. وهنالك فرق كبير بين الفكر والكفر ...

تمهيد

بقلم الأديب

الأستاذ سعد الدين مطر

بسم الله الرحمن الرحيم

توق الإنسان إلى المعرفة قديم قديم.. وحكايته معها تاريخ حافل بالتقصي والفضول .. وسفر متعب عبر الزمن .. فهو أبداً في رحلة استطلاع ينطلق خلالها من تأمل إلى دهشة .. ومن دهشة إلى استفسار .. ومن استفسار إلى استدلال .. ومن استدلال إلى استقراء .. ومن استقراء إلى ربط .. ومن ربط إلى إدراك .. ومن إدراك إلى فهم . ومن فهم إلى منطق .. ومن منطق إلى إيمان ...

هذه هي رحلة تعلم خلالها أبجدية المعرفة وسلخ في سبيلها تاريخا من الجهد المتواصل حتى صارت إلينا تراثا فكريا ناضجا .. هو في معطياته من صنع التأمل .. وفي موضعه من استنباط التجربة العقلية ...

ولكن هذه المعرفة التي هي من اكتشاف الإنسان .. مستقاة من أبعاد عالمه .. ومرتكزة في نواميسها على دنيا وجوده بل آخذة من حقيقة هذا الوجود حدها ومقاييسها ... وطالما أن هذه المعرفة وليدة العقل الإنساني فهي بالتالي قعيدة رؤاه .. سجينة إمكاناته .. رهينة مشاهداته .. تقيم المجرد على هدى، اجتهادها النابع من طبيعة إدراكها وجوهر وعيها الذي يمدها بكثير من الإحاطة التي وإن هي شملت .. فإنها قاصرة في شمولها على عوالم الشهادة فقط تسعى إلى إماطة اللثام عن أسرارها بالجهد والكد .. متسلحة بآية من جنسها .. فالوزن للثقل .. والاحتكاك للحرارة. والحرارة للضوء .. وما إلى ذلك من نواميس أصبحت بفضل اكتشاف الإنسان لها مرتكزات ينطلق منها إلى تقييم وجوده وما يتصل بهذا الوجود ...

وبما أن جرثومة المعرفة طموح إنساني وتطاول يحاول تجاوز الحد فلا يستطيع لذلك سبيلا .. فإن اصطدامها بشواطىء عالم الغيب يجعلها صريعة تساؤل حائر .. وضياع ذاهل لا ينفع معه إلا التسليم .. وسبب ذلك هو أن هذه المعرفة في تطاولها كلما أرادت إخضاع عالم الغيب لمقاييسها وقوانينها فشلت .. وآية ذلك هي أن قوانين الغيب ليست من طينة قوانين المعرفة الإنسانية .. وليست من جبلتها وإنما هي من جوهر رباني يعلو على إدراكها فلا تحيط به ولا تدرك كنهه إلا بالاستدلال عليه في سر مخلوقاته وعظمة خلقه .. فإذا المعرفة تعاود سيرتها الأولى من التأمل إلى الدهشة .. ومن الدهشة إلى الإعجاب .. ومن الإعجاب إلى الإيمان .. وهذه هي أسمى درجات رقيها ...

إذن حكاية المعرفة الحقة لا تقف عند العقل فحسب وإنما تمزج العقل بالوجدان الإنساني فينجم عن ذلك فيض إيمان لا نجد له تفسيرا في حساب الحدود والقضايا وإنما نجد له تبريرا في إشراق الذات التي كلما تبصرت تملكتها رعشة .. وكلما تفحصت أخذتها رهبة .. وكلما تبينت لفها الخشوع برداء

التسليم ودفء الإيمان .. الإيمان الذى يدركه نور البصيرة وصفاء اليقين ...

ومن فشله في إدراك الغيب ينكفىء العقل عاجزا حائرا فيحاول على ألسنة بعض أدعياء العلم المغرورين أن يستر عجزه اذ يشن حملة من التشكيك والتضليل ليغطي قصوره وضعفه مستخدما في ذلك حججا وبراهين هي في الحقيقة نوع من الاتهام يقوم على أساس من التهرب في معرض كيل التهم ...

وكأني بعقل الدكتور صادق جلال العظم في كتابه (نقد الفكر الديني) يلتمس بحد منطق الإنسان ستر قصوره وما دري أنه في تعصبه لهذا المنطق وإغفاله للكيان ووجدان الإنسان قد وقع في وهدة رياضية تشد دائما هذا المخلوق العجيب لوحدة قياسية ثابتة متجاهلا طبيعة تكوينه في وجدانية هي سر انسانيته ...

ولئن تطاول الدكتور مستغلا في ذلك جهل الكثيرين على العزة الإلهية فلقد انسجم مع نفسه الحائرة القلقة دون أن يكلفها مشقة التفتيش عن الحقيقة مكتفيا بتحويل الأنظار عن معركة مصيرية الى معارك جانبية لا تخفى بواعثها على أحد ...

فكتاب العظم ليس هو أول عاصفة تهب على الدين .. وليست هي آخر عاصفة تهب أيضاً وكتاب لن يضر الدين ولن يؤثر فيه بادعاءاته وافتراءاته.. ولن يضر الله بشيء .. طالما أن الله ينجز وعده .. ويحفظ عهده بعلماء وفقهاء يسلخون حياتهم في الدفاع عن الحق الذي لا يعدم نصيرا ...

جمعتني الصدفة ورب صدفة خير من ميعاد .. بعالم جليل موهوب شمله الله برحمته .. وأمده بخير علمه .. وحلاه بفضله هو فضيلة الاستاذ « جابر حمزة فراج » مندوب الأزهر الشريف في مدينة طرابلس بلبنان .. وكان لنا في موضوع كتاب العظم حديث..انبرى على إثره فضيلة الاستاذ مشكورا

مثابا .. وتطوع للرد على الافتراءات .. بأسلوب واضح سلس .. ضمنه هذا الكتاب (البرهان اليقيني)..

يقوم على دحض مزاعم الدكتور المتفيهق .. وذلك بإقامة الدليل على عدم صحتها وهدم مرتكزاتها.. فألهمه الله – على ضيق وقته – هذا الرد الذي لا ندعي معه الكمال وإنما نقول : حسبنا أنه كان منهجية متواضعة .. جاءت تطبق على عنق الانحراف فتمنع عنه هواء الكفر .. وترش على نار الإلحاد بماء الايمان الدافق فيخمد أوارها وينطفىء لهيبها ... كل ذلك بتعبير صافٍ .. وعبارة دسمة .. والتماع ذكي .. ومنطق سديد .. وتركيز مقنع.. ومقدمات ايضاحية .. ونتائج استدلالية .. وكلمة عربية سليمة لا تشكو (رطنة العظم) ولا مداوراته .. بل تعب من مناهل الأصالة .. وموارد العراقة.. ما يجعل اللفظة المنتقاة لباسا مطابقا للمعنى المبتكر .. وحلة قشيبة للمضمون يزدهي بها في انسجامه معها .. ويرفل فيها متألقا وضاءً .. يتهادى نحو غاية الاقناع في نزهة يسيرة .. لا يقسو خلالها على قارئه ولا يطيل .. ولا يُغرب عنه بل يرافقه بأدب المناقشة .. ويجالسه بأخلاقية قويمة..ويحاوره بالصراحة على التزام الوضوح .. مكتفياً بالاشارة والتنبيه .. تاركا لجليس كتابه مجال التأمل والتفكير .. أخذا بيده من روضة إلى روضة وهذه طبيعة لفضيلته عرفها الناس فيه .. جزاه الله خير الثواب ..ونفعنا به وبأمثاله من المؤمنين الصادقين ....

طرابلس لبنان : ١٠/٢/١٩٧٠ م

مقدمة الكتاب

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. نحمده تعالى حمد من آمن به وأخلص النية له .. ونشكره سبحانه على ما أولانا من النعم..وما شملنا به من الفضل والكرم.. فاختار لنا الإسلام وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ..ونشهد ألا إله إلا الله شهادة نابعة من قلوبنا وأعماقنا .. لا رب غيره ولا معبود سواه .. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله ربه هدى للناس ورحمة للعالمين .. أرسله ربه بالديانة السمحاء والشريعة الغراء .. يرسم للوجود طريق الخير ليعرفوه .. ونظام الحياة ليسلكوه .. وسبيل السعادة ليتبعوه .. أرسله ربه معلما لأمته يقودهم إلى الخير .. وينطلق بهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان .. اللهم صل عليه وعلى آله الأوفياء وصحابته الأتقياء ...

أما بعد .. فإن مما يشرفني أن أقف مع الحق مدافعا..وللعدل منصفا.. وللباطل محاربا .. فلقد قامت ثورات إلحادية تلقي سهام الشكوك في قلب العقائد الدينية المقدسة .. وتسدد نصال الضلال إلى كبد المبادىء السامية .. محاولة منها لنزع الإيمان .. وهز العواطف .. والقضاء على الفضائل .. وهذه وتلك أعز ما يمتلكه الإنسان الحر النبيل .. لأن الحياة بدونها تصبح سوداء كئيبة عندما تنطفىء منها الإشراقات الإلهية .. وحينما يتجرد أبناؤها من الخير والجمال الرباني الذي يخلق الضمير الحي والوجدان السليم ...

وإنني لأجد أن من الواجب عليّ الذي يمليه ديني وتحتمه مسئوليتي كمسلم أن أقوم بتأليف هذا الكتاب للرد على ما يقوم به أهل الباطل من زيف وتمويه .. وتغرير بالعقول والأفكار .. ليكون الناس على بينة وثبات ويقين إزاء دينهم الحنيف الذي شرفهم الله به فجعله لهم نورا وإشراقا فيه صلاحهم ونجاحهم ومنه قوتهم وانطلاقهم نحو المجد والعز والازدهار ...

والله الكريم أسأل أن يكتب لي التوفيق للقيام بأداء هذه المهمة على أكمل وجه وأحسن مظهر .. وأن يمنحني القدرة لنشر تعاليمه السامية واضحة جلية لإزالة الزيغ من القلوب .. ومسح الضباب عن العيون .. وليعرف المسلم روح دينه .. وأسرار شريعته .. ويسير في الاتجاه السليم نحو الرقي والسمو والجلال .. والله ولي التوفيق ...

المؤلف

توجيهات وإرشادات

التطور المنحرف جناية على المجتمع

أصيبت البشرية في هذا الزمان بآفة التغيير والتجديد .. وبعاهة الثورة على القديم .. فتراهم يجرون وراء المستحدثات ويستجيبون للبدع ويتأثرون بالتقليد وينساقون في تيارات الضلال منخدعين بكل جديد تبهرهم أنواره الزائفة وتغريهم دعاياته الكاذبة وتدعوهم شياطينه المفسدة لتدفع بهم إلى الهاوية ثم تسقطهم في دركات سحيقة حيث الضياع والهلاك .. ترى هؤلاء الحيارى ينسلخون من كل قديم ويتحررون من جميع القيم ويتحللون من كل المقدسات ويثورون على التراث العريق حتى ولو كان فيه صلاح حالهم وفلاح أمرهم .. يتخلصون منه لا لشيء سوى أنه قديم وذلك بحجة التطور والتقدم .. ونسي هؤلاء الجهال أن التطور ليس معناه الانسلاخ من العادات والتجرد من المثالية والخروج على الفضيلة .ونسوا كذلك أن التطور ليس معناه التحرر والانطلاق واتباع الأفكار المستوردة والمظاهر الخادعة .. لقد تصوروا بجهلهم أن القديم يجب هجره والتخلص منه والحقد عليه حتى ولو كان حسنا .. وأن الجديد يجب الإيمان به والإذعان له والإقدام عليه لأنه جديد حتى ولو كان قبيحا .. إن من المعتقدات الخاطئة أن نترك القديم لأنه قديم وأن نتبع الجديد لأنه جديد .. بل إن الحزم والحكمة والعقل يحتم ألا نترك القديم إلا إذا كان فيه سوء واعوجاج .. وتأخر وانحطاط لا يتناسب مع ركب الوجود وموكب الحياة .. وألا نلجأ إلى الجديد إلا إذا وجدنا فيه الخير والرقي والتناسق

والتألق الذي يتناسب مع تقدم العصر وازدهار الوجود ...

نعم إن من الواجب أن نسعى إلى الأصلح وأن نتسابق إلى الكمال وأن نجتهد في الوصول إلى ما فيه سلامتنا ونجاحنا .. وأن نستحث الخطى إلى ما فيه سعادتنا .. وأن نتنافس في الحصول على ما يضمن كرامتنا ويرفع هامتنا ويردد أصواتنا في مسمع الخلود ..فمجد الأمم في المحافظة على تراثها والتمسك بمبادئها والحفاظ على مظهرها . وعظمة الشعوب قائمة على عراقة أمجادها وأصالة جوهرها ...

ومما لا شك فيه أن تراث الأمة الإسلامية ناطق بالمحاسن شاهد علىالمكارم لأنه منبثق من نور الله .. لأنه نبع من رسول الله .. لأنه قبس من السماء.. لأنه فيض من نور .. لأنه دفق من طهر ونقاء .. وصدق رسولنا الأعظم عليه الصلاة والسلام حين قال: « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا كتاب الله وسنة نبيه » ...

فمن هذه الينابيع الإلهية تتفجر المثل العالية .. ومن تلك الرحاب الربانية تنهمر القيم الكاملة .. ومن رياض النبوة الفيحاء تعبق التعاليم والارشادات .. ومن تربية القرآن نغترف أعذب المعارف والعلوم فنسير على ضوئها .. ونخطو في نورها .. ونعيش في ظلالها آمنين وادعين .. وديننا صالح لكل مكان وزمان لما فيه من إيجابية وبناء .. وخلق وتجديد .. ولباقة ومرونة .. ويسر وسهولة .. تجعله دائما أسلوبا للحياة وتعبيرا للوجود وتقويما للمجتمع ..

فالإسلام يدعو إلى الفضائل وكريم الشمائل .. يحث على الطهر والصفاء.. وينادي بكل ما فيه خير للبشرية وصلاح للكون .. وينهي عن الرذائل ويحارب المنكرات ويمقت القبائح ويلفظ الدنايا ويحرم كل ما فيه إضرار بالناس وتقويض للحياة ...

فإذا تمسك المسلم بدينه وحافظ على تعاليمه كان إنسانا طاهرا مأمون الجانب حسن العشرة طيب المعاملة لا ينتج إلا خيرا ولا يزرع إلا برا ولا يصدر عنه إلا الجمال والكمال فيصبح الوجود من حوله أمنا واستقرارا .. وسكينة واطمئنانا .. وعدلا وإنصافا .. وتصير الحياة بين يديه نورا وضياءً .. وبهجة وبهاءً .. ويبدو الكون أمامه وكأنه نفحة من نفحات الرب وموكب من أطياف الملائكة .. وعندئذ تتوهج الحياة وتفيض بالبشر والابتهاج وتضفي على الناس تألقا وإشراقا ...

أما إذا تجرد المسلم من دينه وتباعد عن تعاليمه وانسلخ من مبادئه وهرب من دوحته ضل وغوى وصعق وهوى وخسر وضاع وتاه في بيداء الحياة يتخبط في دياجيرها ويحترق بسعيرها ويصطدم بصخورها ليسقط في واد سحيق حيث الفزع والهلاك والخيبة في الدنيا والآخرة ...

معاول الهدم

إن مما يندى له الجبين خجلا وينسكب منه ماء الحياء حسرة ولوعة أن نسمع هؤلاء المنحرفين الضالين من الشباب الساخر يزعمون بأن الأديان تأخر وجمود..وتحجر ورجعية..ويدعون أنها سبب النكبات والهزائم والتخلف.. وغاب عنهؤلاء الملحدين بأنهم لم يعرفوا عن دينهم شيئاً ولم يستشعروا حكمته ولم يعلموا أسراره .. ولو أنصفوا لآمنوا بأن زيغهم وجنوحهم وميوعهم وجهلهم سبب فشلهم واداة خرابهم ومعول هدمهم..ولو أمعنوا النظر لوجدوا أن الضياع والتشرد وأن التردي والتخبط فإنما سببه البعد عن الدين والانحراف عن تعاليم الرسول الأمين ..

فبالدين ساد آباؤنا وأجدادنا .. وبالدين حققوا النصر على الأعداء .. وبالدين رفعوا راية الحق على ربوع العالم خفاقا بالمحبة مرفرفاً بالسلام .. وبالدين

أشرق نور الله على الأرض فأضاء .. وبالدين فتحوا البلاد من شرقها لغربها .. وبالدين نقشوا على صدر الزمان آيات مجدهم وآثار عزهم .

جاءهم الدين فوحدهم بعد فُرقة .. وعلّمهم بعد جهل .. وقوّاهم بعد ضعف وأنار لهم بعد ظلمة .. وأعزهم بعد ذلة ...

وأقول لهؤلاء المارقين الحاقدين : هل كنا مجتمعين فجاء الدين وفرقنا ؟ أم كنا علماء فأضاع افكارنا .؟ أم كنا أقوياء فأضعفنا .؟ أم كنا أعزاء فأذلنا .؟ لو صح هذا لكانوا على حق .

إن التفرقة غرسها المستعمر اللئيم بين صفوفنا يوم تفكك المسلمون وصاروا أحزاباً وشيعاً .. يوم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وتركوا سنة نبينا العظيم يوم جروا وراء المذاهب الطائشة التي تدعو الى الفجور وتهدف للفسوق وتبث الفساد في القلوب والعقول .. وتنشر السموم في الأذهان والوجدان .. يوم استمعوا إلى نداء الشيطان وصوت الباطل ودعاء الظلال ففتحوا له الآذان والأعماق .. يوم دخلت بيوتهم صحف الغرب بصورها العارية .. بقصصها المثيرة .. بأفكارها الذميمة بآرائها الدنيئة التي تدعو الى الانحلال والفساد.. والفوضى والهمجية والاستهجان . يوم قلدوا الأجانب في عاداتهم السيئة وتقاليدهم الخليعة وأوضاعهم الخبيثة التي لا يرضى بها إلا من تجرد من الشرف وانسلخ عن الفضيلة ورضي بالانحطاط والعار .. يوم سرت فيهم موجة التقليد الأعمى لتلك الرقصات البذيئة الفاجرة والمظاهر المحمومة التي جعلت تقاربا بين الشباب والفتيات وانتشرت رذيلة اختلاط الرجال بالنساء .. يوم تجرد العرب من عروبتهم وتمسكوا بأوضاع زائفة مقنعة بالمدنية والحضارة وإن هي في الحقيقة إلا وقاحة ووصمة عار .. يوم قامت عصابة من تجار الفكر وأعداء الفضيلة يكتبون في الصحف ترويجا للفواحش وانتصاراً للضلال فجندوا أنفسهم وأطلقوا أقلامهم المأجورة للعبث بعقول المراهقين والمراهقات

يزينون لهم العشق ويبثون بينهم الغرام ويسوقونهم الى أوكار الرذيلة بالأساليب المعسولة والعبارات الوردية لا يخشون ضميراً ولا يخافون ربا ولا يعترفون بحساب ولا يتمسكون بقيم ولا يقرون بدين فيدفعون بالشباب الى الخلاعة والمجون لربطهم بعجلة التطور الزائف والمجتمع الكاذب القائم على التمويه والخداع .. فشوّهوا الحقائق وغيروا الأوضاع .. فقلبوا الحق زورا .. والعدل بهتانا .. والجمال كآبة .. والكمال نقصا .. والجلال انحطاطا .. شدوا الشباب من آدميتهم المهذبة الى البهيمية والحيوانية استجلابا للذائذ ومناصرة للمنكر في أبشع صورة تحت ستار الحرية والانطلاق .. ونسي هؤلاء أن الحرية منهم براء .. لأن الحرية فيها صيانة الكرامة وحفظ العفاف ..

وهؤلاء لا يرون عيبا في أن تختلط نساؤهم بالرجال للمشاركة في الرقصات المجنونة المشبوبة والاغاني الخليعة والذهاب في رحلات طليقة حيث المتعة والشهوة بحجة إزالة الكبت والتعقيد ومجاراة لركب الحضارة والتقدم ..

ألا فليعلم هؤلاء الضالون بأن كل رجل يسمح لنفسه ولأهله بالسير في هذه الأرجاس فهو جانح في سلوكه مقصر في تربيته مجرد من رجولته ونخوته .. ثم ليعلم هؤلاء الكتاب دعاة التحرر وتجار الفساد بأنهم أضر على مجتمعنا ووطننا من الاستعمار آلاف المرات .. وهؤلاء هم الأعداء حقاً .. لأنهم يهدرون كرامتنا .. لأنهم يضيعون أبناءنا .. لأنهم يعبثون بأخلاقنا .. لأنهم يمزقون وحدتنا .. فهم الذين جعلوا الطرب فنا .. والرقص قداسة .. والعشق طهارة .. والفسق مجداً .. وجعلوا من المفسدين نجوما .. ومن العابثين كواكب .. ومن السفهاء فلاسفة .. ومن الساقطين أبطالا ..

هم الذين طمسوا معالم الدين وأطفأوا جذوة الايمان وخنقوا الفضيلة ..

فالأديان عندهم خرافة .. والتراث لديهم رجعية.. والوقار في نظرهم جمود..
والتحفظ في عرفهم تأخر ...

التآمر على الأديان

ولم يقتصر هؤلاء المارقون على بث ونشر الضلال ولكن تمادوا في طغيانهم وتطرفوا في دعوتهم فأخذوا يتسللون الى الدين من خلال العقول التي تفتحت للتطور الزائف فقامت طائفة منهم تنفث الأباطيل وتعمد الى الشبهات لتزيف وجه الحقيقة وتفتح في النفوس ثغرات تلج منها لغرس الالحاد وزرع الكفر مستعملة وسائل الخداع ..مستغلة هذه الأفئدة التي وجـــدوا منها استجابة ورغبة في الجري وراء كل جديد زعما منهم أن في هذا حضارتهم وتقدمهم.. متوهمين مسايرتهم لركب الحياة في موكب الزمن ...

ومن خلال الضباب ظهرت أشباح الحقد والكراهية وهيا كل المكر والدهاء تنفخ أبواقها منادية بالزيغ والانحراف ونبذ الاديان تحت حرية الرأي وبحجة « نقد الفكر الديني » ناشرة أنيابها الحادة في كبد العقائد لتدميها وتنـــال منها ولتجعل من أشلائها وجماجم ضحاياها سبيلاً للوصول الى غاياتها وتحقيقاً لاهدافها وارضاء لتلك العصابات التي تغدق الاموال بذلاً وسخاءً لكل من ينفذ مخططاتها ويحتضن مبادءها .. تلك المبادىء الخبيثة التي حرصت على تحطيم الأديان ومحاربة العقائد ومصادمة الايمان لتربط بعجلتها الجبارة القاسية كل رخيص دنيء قد باع دينه ونبذ يقينه وأضاع شخصه وأفنى ضميره فيصبح عبداً لتلك المذاهب السوداء وذنبا من أذنابها التي تحركها وتدفعها ...

وشبابنـــا بسذاجتهم يتعلقون بالبريق الزائف ويجرون وراء السراب الخادع .. ليصيروا نهبا للضياع .. وذلك لأنهم لم يجدوا في بيئتهم المنـــاخ

الديني المناسب .. فالبيوت خربة من التربية السليمة .. والمدارس في فراغ من عدم التوجيه الصحيح..وكثير من الصحف خرجت على رسالتها وعكفت على غزو مشاعر الشباب بالقصص الجنسية التي تجد فيهم مرتعا خصيباً وسمعاً صاغياً ورغبة جامحة اثارة للشهوات وتحريكا للغرائز ...

وهكذا نجد شبابنا في فساد شامل وموجة عارمة تلطمهم وتتقاذفهم ونار حامية تكويهم وتلهبهم .. وهم حيارى في متاهات الحياة ...

ان من الواجب علينا أن نحرض ونعمل على انتشال أبنائنا من أنيـــاب الشياطين ،شياطين البشرية عبيد الاستعمار وأصدقاء الغرب واعداء العروبة.. علينا ان نكون رحماء بأبنائنا نمد لهم يد العون والمساعدة ونضمهم الى رحاب الصواب والطريق المستقيم فنكون أولا وقبل كل شيء قـــدوة حسنة لهم نقودهم الى الخير ونوجههم نحو الكمال ونغرس في نفوسهم حب الايمان وصيانة المبادىء وتنمية الفضائـــل وتأصيل العقيدة في أعماقهم ليكونوا في مأمن ويقظة من كيد كل آثم مغرض لئيم ...

وان من الواجب على قادتنا وأصحاب السلطة حماية الشباب فهم عـــدة الوطن ورجال المستقبل وذلك بمصادرة الصحف التي تثير الغرائز وتنقـــل عدوى الغرب في أوساطنا .. وتشديد الرقابة على هؤلاء المخادعين المتلثمين بلثام الحرية والانطلاق .. وبذلك نضمن جيلا سليما .. جيـــلا صحيحاً .. جيلا ناضجاً .. جيلا متناسقاً .. جيلا متكاملاً .. وتقوم أوطاننا على صرح متين.. وأساس وطيد من الرجال البررة الذين يفهمون معنى الحياة ويقدرون المسئولية ويتفرغون للإنتاج ويندفعون نحو المجد والعز والشرف والكمال .. بدلا من التذبذب والضياع والتشرد والتبذل والتخنث والانحلال .. فنحن نريد شبابا تكمن فيهم الرجولة وينطق منهم الحماس وتنبض فيهم الكرامة.. ولا نريد شباباً مخنثاً ناعماً طرياً هزيلاً ضعيفاً ...

نريد أن نخلق شباباً صالحاً متفتحاً متوقداً متوهجاً متفهماً لروح الوطنية وتحمل المسئولية ...

ولا نريد شباباً معوجاً ملتوياً منطوياً كئيباً ...

نريد أن نخلق شباباً صارماً صاعداً منطلقاً الى آفـــاق الحرية والحق والعرفان ...

ولا نريد شباباً قابعاً مستسلماً ذليلاً ...

نريد ان نخلق شباباً واعياً مجاهداً مكافحاً في سبيل الفضائل ونشر اسمى المبادىء ...

ولا نريد شباباً مريضاً واهماً خليعاً مستكينا ...

«والذين جاهَدوا فِينا لَنهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنين»..

الغيم الاسود

في سمائنا الصافية .. في رحابنا الوديعة .. في آفاقنا المشرقة .. المشرقة بأنوار النبوات .. ومهابط الوحي .. ومهد الحضارة .. ومصدر النور .. ونبع الانسانية .. هامت سحابة كثيعة وغيم أسود ودخان كريه ينبعث منه الشرر ويتطاير اللهب ويتساقط الظلام مجسماً في هيكـــل أجوف نُقش على جبينه القاتم بأحرف من نار «نقد الفكر الديني» يتطاول على الخالق العظيم.. وينكر وجود الرب الكبير .. ويناوىء ذا العرش المتين .. ويجحد بإلــه العالمين .. لا يعترف بالأنبياء والمرسلين .. ولا يقر بالأديـــان .. ولا يؤمن بالمعجزات .. مستمدا خواطره المغبرة من كهوف الشياطين .. مدعما أقواله الهزيلة بمذاهب الملحدين .. مدنسا أفكاره المضطربة بلُعاب المارقين ...

أراد من وراء ذلك أن يضلل العقول .. ويتصيد القلوب .. فيزعزع العقائد ويهز الوجدان .. ويقتنص الضمائر .. فكان مصيره الفشل والخيبة والعار .. وجزاؤه الضياع والخسران . وأجره الطرد والهجر والابعاد ...

أراد من وراء ذلك أن يجعل نفسه رسولا .. ونسي أن الرسول لا يدعو الى باطل بل الى الحق .. لا يأمر بشر بل بالخير .. نسي أن الرسول يخرج الناس من ظلمات الجهل وينطلق بهم الى النور .. نسي أن الرسول يسمو بالانسانية الى ذرى المجد وقمم العز .. نسي أن الرسول يرسم للوجود دروب السعادة التي توصلهم الى النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .. خانه شيطانه فألقى في روعه وخياله أنه بدعوته للباطل سيكون محبوبا مرموقا فأصبح من الخاسرين ...

صورت له أوهامه أنه سيكون عملاقا يملأ الدنيا بعلمه ومعرفته وفلسفته فصار من النادمين ...

هكذا جزاء الشر فمن يزرع الشوك لا يحصد إلا الشوك الذي يجرحه ويدميه ..

هكذا جزاء من يحارب الحق ويقف في وجهه فيصفعه تياره والأمواج تقذفه وترميه ..

هكذا جزاء من أراد التعالي والظهور فإنه يقصمه ويكسره ويهشمه ويُرديه ..

هكذا جزاء من حاول العبث بالمبادىء والعقائد فإنها تنبذه وتلفظه وتقصيه ...

إن القلوب المؤمنة لا تزعزعها السفاسف ولا الرياح ولا العواصف ..
إن الضمائر الحية لا تخدعها الأساليب ولا تخلبها العبارات والألفاظ ..

إن اليقـــين الثابت لا ينال منه اللؤم ولا يستولي عليـــه الخداع ... لأن المؤمنين مع الله مستمسكين بعروة وثقى لا انفصام لهـا « اللهُ وليُّ الذين آمَنوا يُخْرِجُهم من الظُّلُماتِ إلى النّورِ والذين كفروا أوْلِياؤُهُم الطّاغوتُ يُخْرِجونَهُم من النُّورِ إلى الظُّلُماتِ أولئِكَ أصحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدون » ...

ومهما زاد الباطل فلن يزداد المؤمنون إلا ايمانا ويقينا وثباتا .. فالـدين إلـهي يختص به الله كل نسمة نقية .. إلهام سماوي يحمل الى القلوب بُشرى لسعادة أبدية .. تخفق لذكراه النفوس ولو يسيطر عليها .. وتبتهج لسكناه القلوب وترتاح إليها ...

والدين نفحة الرب .. ولو لم يخلق الله الأديان لكانت الدنيا جحيما دائم سعاره ولظىً مستمر أواره ولصرنا في عذاب لا انتهاء له وشقاء لا يزول .. كان الدين لنا جنة بعد هجير .. وروضة وسط سعير .. فلله مـــا أرحمه علينا .. وما أكثر المارقين جحودا وإنكارا ...

ومن خلال الدين وبنور اليقين ينبثق شعاع الحق مبددا ظلام البـــاطل ويتألق الرد جليا واضحا على أباطيل « نقد الفكر الديني » ...

« وقـــلْ رَبِّ أدْخِلني مَدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْني مَخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لي من لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً.. وقُلْ جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنّ الباطِلَ كان زَهوقاً .. ونُنَزِّلُ من القُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ ورحْمَةٌ لِلمؤمِنين ولا يزيدُ الظّالمينَ إلاّ خَسارا » ...

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

الرد على كتاب نقد الفكر الديني

توطئة لا بُدّ منها ..

إن المنكر – مهما بلغ به الإنكار – .. والملحد – مهما تمادى في الإلحاد – لا يستطيع أن يتجاهل تاريخ البشرية في عهودها الأولى وما كانت تعانيه من الفوضى والوحشية والاضطراب .. ومدى الانحطاط الذي هوى إليه الناس في العصور المظلمة .. وفي الفترات التي لم تستضيء بنور الله وهدى الأنبياء والمرسلين ...

فالإنسان مدني بطبعه .. اجتماعي بفطرته لا يعيش إلا مع بني جنسه .. وكل مجتمع زاخر بالعناصر المختلفة والميول المتباينة والنزعات المتضاربة والرغبات المتعارضة .. والإنسان عادة يحرص كل الحرص على تحقيق ما تهواه نفسه ويبذل في سبيل ذلك ما عنده من إمكانيات وطاقات ويسلك أي طريق حتى يحقق شهواته ويصل إلى ما يريد بأي وسيلة من الوسائل إذ كل ما يهمه ويعنيه هو الحصول على ما يصبو إليه ويريده ...

وهناك عنصران قويان متضادان هما الخير والشر .. فبعض الناس يهفو إلى الخير وينتصر له ولا يرضى به بديلا .. والبعض الآخر يجنح إلى الشر ولا يستعمل أسلوبا سواه ولا يحب غيره .. ومن هنا يأتي دور التنازع عندما تصطدم الإرادتان فتتولد الخصومات ويقوم الصراع بين الطرفين الذي ينتهي

غالبا بانتصار القوي ولو كان على باطل .. وهزيمة الضعيف ولو كان على حق.. فيتصدع المجتمع وتضيع الحقوق ويختل نظام الحياة وتتحول إلى فوضى وهمجية ويظل البشر في خوف وفزع وظلم وعدوان . وتلك هي طبيعة الغاب ومنطق الوحوش الذي يتعالى عنه الإنسان هذا المخلوق المفضل على غيره من سائر المخلوقات ...

والتاريخ يعطينا صورا واضحة عن الحال التي وصل إليها الإنسان قبل بعثة الأنبياء والمرسلين ... وأقرب الأزمان إلينا ما كان يسمى بالعصر الجاهلي قبل انبثاق نور محمد عليه الصلاة والسلام .. فلقد وصلوا إلى أحط دركات التأخر ووصلوا إلى مستوى من الأخلاق لا يوصف به إلا أسفل أنواع الحيوانات .. فلم تكن هناك قوانين يخضعون لها ولا أنظمة يسيرون في ضوئها .. بل إن القوة الجائرة هي أسلوبهم الوحيد وتعبيرهم الذي لا يعرفون سواه .. فالخمور تلعب بالعقول فتحجبها عن رؤية الصواب وتطمس العيون فلا تبصر إلا الخيالات والأوهام التي تصور لصاحبها بأنه سيد الوجود .. ولا شك فإن المخمور إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى ، وتلك نتيجة حتمية ، لأن الإنسان الذي يغيب عقله فإنما يتصرف بدون وعي ولا يميز بين النافع والضار .. وبالتالي لن يقتصر ضرره على نفسه بل يمتد لكل من حوله ولمن يقترب منه ... والفاحشة تسري في كل مكان بالليل وبالنهار وعلى مرأى ومسمع . وبذلك تختلط الأنساب ويُجهل أصل المرءالذي جاء نتيجة السفاح فيصبح معقدا حاقدا يشكل خطرا على غيره من الناس .. لا يعطي إلا الشر ولا يصدر عنه إلا الكراهية والغدر والخيانة ومظاهر السوء...

كما أنه لا أمان على النفوس أمام هؤلاء الأشخاص الذين لمسوا عندهم قوة وقدرة تمكنهم من خطف الرجال والأولاد والنساء فيتخذونهم عبيدا وإماءً يتصرفون فيهم حسبما شاءوا من تسخير وإذلال وبيع وشراء .. وهكذا استبيحت الأعراض وهدرت الكرامات وخدش الشرف .. وترتب على ذلك

تلك العادة المستهجنة البشعة وهي وأد البنات مخافة الفقر والضعف والعار .. وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى :

« وإذا بُشِّر أحدُهُمْ بالأُنثى ظَلّ وَجهُهُ مُسْوَدّاً وهو كَظيمٌ .. يَتوارى من القَوْمِ من سُوءِ ما بُشِّر به أيُمْسِكُهُ على هُونٍ أم يَدُسُّهُ في التُّرابِ ألا سَاءَ ما يَحْكُمُون » ...

كذلك استباح الناس الكذب وشهادة الزور ومناصرة القوي خوفا من وشاح السلب والنهب والغش والخداع والفسق والفجور .. وهكذا نجد مجتمعا صاخبا بالانحلال والاضمحلال يعيش في كآبة وانحطاط لا عدالة ولا إنصاف .. ولا راحة أو استقرار .. فأظلمت الحياة واغبر وجه الدنيا واسود أفق الكون ...

هذه بعض المظاهر لبني الإنسان عندما خلت دنياهم من الأنبياء والمرسلين الذين ينشرون النور ويزرعون السلام ويمنحون الهداية ويرفعون راية الإيمان ...

رحمة السماء

واقتضت رحمة الله وشاءت إرادة الخالق أن ينقذ البشرية من مهاويها ويرفعها من حضيضها فبعث الأنبياء والمرسلين هداة ومرشدين يتفجر من حولهم النور وينبثق منهم العرفان وتتدفق من حولهم العدالة والإنصاف والحق والخير .. ويفيض على أيديهم التشريع السماوي الحكيم صيانة للأمور وضمانا للحقوق وتعميرا وتشييدا للوجود .. يحطمون الظلم ويقضون على الفساد ويحاربون الطغيان ويبددون الظلام .. يأخذون بيد الحيارى من بيداء الضلال إلى واحة الإيمان .. بظلالها يتفيأون ومن ينابيعها الصافية ينهلون ..

ينقذونهم من قيود التعسف إلى ساحة الحق والعدل .. ينطلقون بهم من وهدة الجهل والباطل إلى نور العلم واليقين .. ليصل البشر على أيديهم إلى أسمى الدرجات .. وليأخذ كل ذي حق حقه ويعرف كل امرىء واجبه ويمنح مجتمعه وبني جنسه نتاج عقله وفكره وغرس يديه وخير ضميره ووجدانه ...

وبذلك تنتشر المحبة وتسود الألفة وتقوى الروابط وتسعد الجماعة وتبتسم الدنيا ويشرق الكون بالحس والإبداع ويبدو الوجود شامخا باسقا بالعز والازهار .. مستضيئا بتعاليم الأديان بكل ما فيها من يُمن وإسعاد .. لأنها من صنع الله الذي أتقن الأشياء وضمن الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة لمن اتبع هداه .. وجعل الشقاء والذلة والهوان لمن عصاه ...

« من جاءَ بالحسَنَةِ فله خَيْرٌ منها وهم من فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنون .. ومن جاء بالسيِّئَةِ فكُبَّتْ وُجوهُهم في النّارِ هل تُجْزَوْنَ إلاّ ما كُنْتُم تَعْمَلون »...

ولن أتناول هنا الحديث الشامل عن أثر الأنبياء في خلق الأجيال وتهذيب الأخلاق وصقل الطبائع وتربية النفوس وتنمية الأفكار .. فالتاريخ أكبر شاهد والآثار خير مجيب والدهر أفضل دليل .. وسأكتفي في هذا المقام بالرد على ما جاء من افتراءات ومزاعم في « كتاب نقد الفكر الديني » الذي تعمد مؤلفه التجني على الحقائق والاعتداء على الأديان والعبث بالعقائد .. متغافلا عن الحق .. سادرا في الغي .. متماديا في الباطل .. مخالفا سنة الحياة .. بإنكاره وجود الله .. وتطاوله على الشرائع.. وخروجه على الإجماع.. ومناصرته للباطل.. ودعوته للضلال .. ومغالاته في الإغواء... حاملا لواء الشيطان الأسود ليرجع بالناس إلى الظلام الدامس حيث

الإباحية والانحلال والإسفاف .. راميا الناس جميعا بالجهل والغباء .. مدعيا لنفسه الفهم والذكاء وسعة الأفق وتوقد الذهن وتوهج الفكر .. ولو علم الحقيقة لرأى نفسه شاذا آبقا متمردا .. نائيا عن الصواب منحرفا عن الطريق السوي .. فكثير من الناس يستبد بهم الغرور ويركبهم الطيش ويلازمهم الشطط فيعتقدون أنهم فوق البشر وأنهم من خيرة الفلاسفة وأنهم طبقة نادرة لا يجود الزمان بأمثالهم وهذا مظهر جهلهم وآية جنوحهم وعلامة حمقهم .. ومن المأثور أن الرجال على أربعة أقسام :

رجل يدري ويدري أنه يدري وذلك هو العالم فاسألوه ...

ورجل يدري ولا يدري أنه يدري وذلك هو الناسي فذكّروه ...

ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري وذلك هو الجاهل فعلّموه ...

ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري وذلك هو الأحمق فارفضوه ...

وما أحسن قول الشاعر في الرجل الأخير إذ يقول :

أليس من البلوى أنك جاهل .. وأنك لا تدري بأنك لا تدري ...؟

يقول علماء المنطق في تعريف العلم : « العلم هو الإدراك الجازم المطابق الواقع الناشىء عن دليل » ... ونحن نرى مؤلف « نقد الفكر الديني » يحكم على الأمور حكما واهيا لا يعتمد على دليل ولا يستند لبرهان .. كما سيتضح لنا من كلامه .. ونقول بأن الأديان حق – وذلك بعد إقامة الحجج كما سيأتي – فالعلم لن يتعارض معها لأنه بدوره يوصل إلى الحق .. وكل شيء لا يتفق مع الحق فهو باطل والباطل هو الجهل المظلم ...

وليس من العيب أن يجهل الإنسان .. ولكن العيب يلزم من يتعصب

ويسد أذنه ويغلق فكره عندما يتضح له الصواب ولا يحيد عن رأيه ...

لذلـــك نجد كثيراً من الملحدين يوجهون الأسئلة والشبهات ولا يتوقعون لها جوابا .. وإذا أردت أن ترد عليهم أو تقدم الأدلة على بطـــلان دعواهم هربوا وأقفلوا عقولهم فهم لا يسمعون .. ولا يدركون أنهم ضحايا غرقوا في تيارات المضللين ...

ولكني هنا ألتزم بالرد على كتاب « نقد الفكرِ الديني » إظهـــاراًللحق ليزداد المؤمن إيمانا وليكون أكثر ثباتا .. أما المبطلون فلن يفيد معهمالكلام ولن ينفعهم الإقناع ...

« ولا يحزنكَ الذين يسارعون في الكُفر إنهم لن يضرّوا الله شيئاً يريدُ الله ألا يجعل لهم حظّاً في الآخرةِ ولهم عذابٌ عظيم »...

التوكل والتواكل

إن المتصفح لكتاب نقـــد الفكر الديني يرى التناقض الواسع والتباين الشامل في كلام المؤلف .. فتارة يعترف بالأديان ويقترح أنها في حاجة إلى تنسيق وتنظيم .. وتارة أخرى ينفي حقيقة الأديان ويعبر عنهـــا بأنهـــا خرافات وأساطير لا يجوز للإنسان المثقف أن يتأثر بها أو أن يقـــع تحت سلطانها الموهوم ...

ثم حاول في مقدمة الكتاب بأن يثبت للعالم بأن الذهنية الدينية والتمسك بالمعتقدات كانت السبب الوحيد في هزيمة الشعوب العربية لأنهـــا قائمة على التوكل على الله ومستندة على غيبيات خيـــالية .. وآلم المؤلف العبقري أن يقول زعماء العرب أننا سننتصر بإذن الله .. واعتبر بأن هـذه الكلمة هي

السبب المباشر الوحيد للهزيمة .. وأخذ يكيل الضربات المتوالية لهذه العقليات المتأخرة الرجعية .. لماذا .؟ لأنهم يعقدون نصرهم بمشيئة الله .. أي أنهم لو تجردوا من هذه العاطفة أو أنهم لو لم يقولوا إن شاء الله لكان النصر حليفهم .. أو بعبارة أكثر وضوحا .. لو أن العرب كانوا على غير دين وبدون إله لكان الفوز حليفهم في المعركة.. وهنا أسأل المؤلف السؤال التالي : هل كانت هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية سببها أن زعيمهم قال سننتصر بإذن الله ...؟

وهل كانت اليابان في الميدان باسم الدين حتى انتهت الحرب لغير صالحهم ...؟ ليس هذا ولا ذاك بل إن للهزيمة أسبابا كثيرة ومتعددة .. يعرفها المختصون والفنيون في هذا المضمار ...

وإذا سلمنا جدلاً بأن الأديان هي سبب الهزيمة في الحروب .. وبأن التوكل على الله خداع نفسي يجب أن ننزعه من حياتنا وواقعنا .؟ فما قول المؤلف في انتصار المسيحية مع ضعف المؤمنين بها وعدم تسلحهم أو مهارتهم الحربية أمام الجيوش المنظمة المزودة بالعتاد والمعدات والجنود المدربين ...؟

هل كان هناك تكافؤ بين القوتين المتحاربتين ...؟ إن التاريخ يحدثنا بأن المؤمنين بالمسيحية لم تكن لديهم الاسلحة المتعادلة مع الاعداء المجهزين بأدوات الحرب الكاملة ... وإذا بحثنا عن الحقيقة والتعليل في ذلك لوجدنا أن إيمانهم وتوكلهم على ربهم الذي وعدهم بالنصر هو السر الوحيدفي انتصاراتهم وفوزهم على خصومهم .. ولو حاولنا أنننتعمق ونطبق الأمر على العقل لوقفنا حائرين مبهوتين أمام هذا الواقع المحسوس ... إذ ان العقل يقضي بانتصار الكثرة المسلحة على القلة بدون سلاح ...

وننتقل من عالم المسيحية إلى عالم الإسلام لنرى نفس الوقائع .. فالإسلام

نشأ بمحمد ﷺ ثم برجل ورجلين ثم بعدد قليل..نزلوا ميدان الجهاد لا سلاح لهم سوى إيمانهم ولا عدة معهم غير عقائدهم ولا يملكون سوى الأمل الوطيد في ربهم .. كان ذلك أمام قوى الباطل وأعـــداء الحق بأسلحتهم وكثرتهم وأموالهم ومقدرتهم .. فكانت النتيجة كما هي دائماً .. انتصار ساحق وقهر للأعداء .. فما السر في ذلك يا سيادة المؤلف ..؟

هل كان إيمانهم بربهم وتوكلهم على الله حائلاً بينهم وبين النصر المبين ..؟

وإذا لم يكن إيمانهم وتوكلهم هما سبب نصرهم .. فمـــا هو السبب في نظرك ...؟

هناك فرق واسع بين التواكل والتوكل .. فالتواكل هو التراخي وعدم الارتباط بالأسباب وعدم الاستعداد لممارسة الأمور وعدم التقيد بالمقدمات وهذا منهي عنه في الإسلام الذي حث على العمل ونادى بالكفاح في كل نواحي الحياة فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة،وأمر بالاستعداد التام « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .. وقد نعى على هؤلاء المتكاسلين وندد بالكسالى .. والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف .. والقوي المراد هنا هو القوي في كل شيء .. فالانعزالية ليست من الدين في شيء .. فالمؤمن الكامل عاملاً وايجابياً ومنتجاً ومتقنا لكل ما يخرجه « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ..

وأما التوكل فهوترك النتائج والعواقب لله بعد القيام بما يجب..والاستعداد الكافي لمواجهة الامور من تهيئة الأسبـــاب وترتيب المطلوب .. فلكي يحصل الانسان على الرزق يستوجب أن ينزل إلى موكب الحيـــاة ومواجهة شؤونها وممارسة أسبابها .. « اعقلها وتوكل ».. نعم أيها المؤلف اعقلها وتوكل وهل يملك المرء أكثر من هذا ..؟

ومن هنا نعود الى حديثنا فنقول بأن العرب لم ينزلوا المعركة بدون سلاح بل نزلوا متأهبين مُهيَّئين على أكمل وجه يتطلبه الميدان... ولم يتركوا أسلحتهم في مستودعاتها ونزلوا من غيرها .. ولم يأخذوا معهم إلا التوكل على الله فحسب .. وإلا لو كان ذلك لوجهنا إليهم اللوم والنقد ... وهل يجوز في نظر المؤلف أن نعتب على مريض ذهب إلى الطبيب وخضع للتوجيهات واستعمل الدواء ثم مات ....؟ وهل يجوز أن نوجه النقد لتاجر هيأ عمله وعرض بضاعته في أحسن صورة ولم يبع ...؟ وهل يجوز أن نؤنب طالبا ذاكر دروسه وحصل علومه كما ينبغي فرسب ولم يُكتب له النجاح ...؟

وما وجه التعليل في نظر المؤلف العبقري لمثل هذه الامور ..؟ هل هناك تعليل غير القول بأنها مشيئة الله ...؟ واذا كان هناك تعليل آخر فما هو ...؟ نرى شابا فتيا ينبض بالقوة ويفيض بالحيوية وليس به أمراض أو علل ثم لا نلبث فنراه في عداد الاموات ... ونرى مريضاً طال عليه المرض وكثرت فيه العلل ويمتد به العمر سنوات وسنوات بعد أن يقدر الاطباء – حسب علومهم ودراستهم وتجاربهم وخبرتهم – أنه سيموت بعد لحظات... وكذلك نشاهد في حياتنا اليومية الكثير من الامور التي لا نتلمس لها تعليلا عقليا أو علميا سوى أنها مشيئة الله ... فما معنى ذلك .؟ وما السر ...؟ وما التعليل عندك ... ؟

وبناء على ما تقدم نرى المؤلف يتجنى على الواقع ويبني كلامه في مقدمة كتابه على ادعاءات باطلة لا صحة لها ولا دليل عليها .. حيث يقول :

(من ناحية أخرى تبين أيضا بعد هزيمة ١٩٦٧ أن الأيديلوجية الدينية علىمستوييها الواعي والعفوي هي السلاح النظري والأساسي والصريح بين الرجعية العربية في حربها المفتوحة ومناوراتها الخفية على

القوى الثورية والتقدمية في الوطن .. كما أن بعض الأنظمة التقدمية العربية وجدت في الدين عكازا تتكىء عليها في تهدئة الجماهير العربية وتغطية العجز والفشل الذي فضحته الهزيمة عن طريق مماشاة التفسيرات الدينية والروحانية للانتصار الإسرائيلي والخسارة العربية . وصمتها حول الميل إلى انتظار النصر الجديد من عنده تعالى ...)

من كتاب نقد الفكر الديني ص ٩

* * *

من هنا يتضح للقارىء أن المؤلف ركز ادعاءه وحملته على أن الحرب بين العرب وإسرائيل كانت حربا دينية .. وأن الإسلام والمسيحية يحاربان الديانة اليهودية ...

وخفي عليه أن الحرب كانت سياسية انتصارا لقضية عادلة هي قضية فلسطين التي لم تغب عن أنظار الناس .. والتي يعرف أسرارها الكبير والصغير على حد سواء .. والتي لم يكن المقصود منها سوى تطهير الأراضي العربية من هذه الشرذمة الصهيونية التي غرسها الأمريكيون لتكون شوكا جارحا يدمي العروبة في صميمها .. ويفصل الأقطار عن بعضها تمزيقا لوحدتها وتشتيتا لأبنائها . وجعلها قاعدة يرتكز عليها الغرب في تحقيق مآربهم وأطماعهم ...

نعم إن الدين اليهودي لم يكن هو الهدف من المعركة فنحن نحترم جميع الديانات والدليل على ذلك وجود الكثير من اليهود في بلادنا ومعهم هيئاتهم الدينية يقومون بإحياء شعائرهم ولهم حقوقهم الكاملة ولم تمتد الأيدي بالأذى إليهم ...

ولو كانت الحرب دينية القصد منها القضاء على المقدسات لما أبقينا أفرادها بيننا في بلادنا .. ولحاربناهم في معابدهم .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ...

وأما تهدئة النفوس عقب الهزيمة باسم الدين وباسم العقائد وبنصر الله الجديد المنتظر .. فما هو إلا تجديد للآمال وتنشيط للهمم وإيقاظ للشعور وتوطيد للإيمان وحافز على الثأر واستعداد للمعركة ...

ولم يكن الأمر قاصرا على هذا الأمل فحسب ..بل هناك العمل المتواصل والسعي الدائب والتسلح الكامل والتجمع الشامل والإنطلاق الواسع نحو الواقعية .. بدليل أن جيوشنا العربية لم تقف حائرة مستكينة متواكلة تندب حظها بل أخذت في تجميع القوى وإعداد الأسلحة وتهيئة الأفراد في خلق جديد وأسلوب متناسق وتطور ملموس مع أحدث المظاهر الحربية .. فكونت نفسها واستعادت قوتها ووقفت متكاتفة مترابطة متساندة متعاونة لتحرير أراضيها واسترداد كرامتها ...

وإن المعارك المتكررة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ تعطينا صورة واضحة المعالم على أن الجيوش العربية ليست متواكلة متراخية كما تصور المؤلف .. فالأخبار تطالعنا كل يوم بالبطولات النادرة والبسالة العظمى وآيات التضحيات وألوان الصمود والإصرار على الوصول إلى النصر المبين ..

هذه صورة لواقعنا .. استعداد وتحفز .. وإقدام وتسلح .. وتوجيه وتنظيم .. ودراسة وتخطيط .. شعارنا ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .. وسنمضي في جهادنا وكفاحنا ونضالنا بهمة لا تحد .. وعزيمة لا ترد .. وإيمان لا يتزعزع .. ويقين لا يتأثر .. حتى تشهد الدنيا أن العرب الأمجاد ، بأسهم شديد .. وبطشهم عنيف .. إذا ما اعتدى عليهم .. فهم من الحق وللحق

ينطلقون .. لا ترهبهم قوى الباطل وزيف الضلال .. وسننتصر -بإذن الله- ولو كره الحاقدون الملحدون ... هذا وضعنا .. وذاك موقفنا ...

إذن فما الذي ينقصنا .؟

وما وجه نقد المؤلف لسلوكنا ...؟

وما سبب الحملة على العرب ...؟

وما هي اقتراحاته العبقرية وآراؤه الفذة ونصائحه الغالية ...؟

وأين توجيهاته السامية التي تضمن لنا النصر المبين ...؟

ولماذا لم يُطلعنا عليها حتى نعمل بها ما دام حريصا على كرامة العروبة..؟

أم أننا لم نستحقها ..؟ أم أنها فوق عقولنا فلا ندركها . ؟

إن من شأن الناقد الحصيف أن يتناول المسائل بالحوار السليم ثم يعطي النصائح البنـــاءة .. ويعطي التوجيهـــات الرشيدة التي تضيء وتنير ... وإلا تحول نقده إلى هدم وسلبية .. وحقد وكراهية ...

ولا أدري لماذا لم يتكرم علينا ناقد الفكر الديني بنصحه السديـــد .. وإرشاده الصحيح ...؟

ثم لا أدري ما سبب حملته على العرب ..؟ ألأنهم يتوكلون على ربهم...؟ أم لأنهم أصحاب دين ...؟

ثم لماذا لم نلمس من المؤلف أي احتجاج على غدر اسرائيل ...؟

ثم لماذا لم يلمح في كتابه بقضية فلسطين ...؟ وهؤلاء هم الذين طردوا من أوطانهم وديارهم بغير حق ...

أليس ينادي بالإصلاح وتنظيم الكون وتنسيق الحياة ...؟

أليست هذه من حرية الفكر التي تنادي بها يا صاحب النقد ...؟

أم أنك قصرت فكرك وجهدك على نقد الفكر الديني فحسب ...؟

وهل كان الدين عندك سببا في فساد الدنيا واعوجاج الأخلاق ...؟

هذه تساؤلات تبدو واضحة جلية على كل من قرأ كتابك .. فالمواطن العربي ليس كما تظن جاهلا أو ساذجا أو بسيطا .. فلقد أصبح الآن على دراية واسعة وبعد نظر وسداد فكر .. لا يخدعه بريق الألفاظ .. ولا يغريه الباطل أو الضلال ...

بل أصبح المواطن العربي يعلم علم اليقين أن الأعداء لم يقتصروا على أسلحة الميدان فحسب.. بل هم يعتمدون على الأسلحة الخفية.. ألا وهي الحرب النفسية التي لا نتأثر بها ولا نستمع لها لأننا متيقظون ...

بين الدين والعلم

الزور والبهتان

إن من أبشع المظاهر التجني على الحقيقة وتزييف وجهها والإعراض عنها والهروب منها ... فالمؤلف هنا في مقارنته بين الدين والعلم .. لم يكن منصفاً إذ أنه توهم أمورا ليس لها وجود أو وقائع ثم استطرد وبنى نتائجه على مقدمات خاطئة لا أساس لها .. وافترضها ليتوصل منها الى نتائج حسب ميوله وأهوائه .. ولن يخفى على القارىء الواعي أن يلمس ذلك واضحاً من خلال حملته على الدين ورميه بأنه معتقدات بالية .. وانتصاره للنظريات العلمية انتصاراً واضحاً .. قاصداً من وراء ذلك تشويه معالم الدين والسخرية والاستهزاء بتعاليمه وأخباره .. مستنداً في ذلك الى أدلة إلحادية منحرفه اعتبر فيها الصواب والصحة .. وتحيز إليها ومال نحوها .. رغم أنها لم تكن سوى أفكار واهية .. وآراء شخصية لم تأخذ طابعا نظريا أو صبغة بديهية حتى نسلم لها عن إقناع وإذعان .. وتقع منا موقع القبول ..

إن الدين الإسلامي ينقسم إلى أصول عامة ثابتة لا تحيد ولا تتغير .. وإلى فروع متشعبة تتشكل وتتطور حسب ما تقضيه الظروف والأحداث .. وهذا وذاك من محاسن الدين .. ولباقة التشريع .. ومرونة الإسلام ..وليس هذا هروبا وطمسا للمعالم إذا وقع تناقض ظني كما توهمه مؤلف نقد الفكر الديني ...

وإن القرآن الكريم لم يكن كتاب رياضيات أو نظريات يتعرض لمسائلها أو يتناول جزئياتها .. بل أوصى بترك الأمور لأصحابها وأهل التخصص فيها « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »...ولذلك نرى القرآن المجيد يعطي بعض الامور التي تهم الناس شرحا وتفصيلا وإرشادا .. لترسم معالم الحياة وتقودهم إلى الخير وتدفعهم نحو الكمال .. ونراه يمر على البعض مراً سريعاً بحسب ما تقتضيه الضرورة .. فمثلاً نظر الصحابة إلى الكواكب والأهلة ولاحظوا ما يعتريها من حركة وتغيير كالقمر عندما يبدو هلالا رقيقاً ثم يأخذ في الزيادة إلى أن يكتمل ويصبح بدرا ثم يتحول ليلة بعد ليلة إلى النقصان ثم إلى المحاق .. واستلفت ذلك أفكارهم فسألوا النبي العظيم ﷺ ليخبرهم عن هذه الأحوال وما يكتنفها من أسرار وغرائب ودقائق .. ولكن الرسول لم يخض معهم في أقوالهم ولم يجارهم في طلبهم حتى نزل قول المولى عز وجل:

« يَسْألونَكَ عنالأهِلَّةِ قل هي مَواقيتُ للنّاسِ والحجّ وليْسَ البِرُّ بأن تأتوا البُيوتَ من ظُهورِها ولكنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقى وأْتُوا البُيوتَ مِنْ أبْوابِها واتّقوا الله لعلّكُمْ تُفْلِحون » ... سورة البقرة .

هذه آية كريمة عن الفلك والأهلة لم يتعرض لها القرآن الكريم بشرح دورانها أو سبر أغوارها أو تتبع أسرارها وإنما أمر الصحابة والمسلمين على لسان نبيه الكريم بعدم التعمق في أمور لم تكن من ضروريتهم الجري وراء معرفتها ولانها لم تكن كذلك في متناول الجميع حتى يحيطوا بأسرارها فأعطاهم عنها ما يلزمهم منها واكتفى بأن يقول لهم ويذكرهم بأنها مواقيت للناس والحج .. اقتصرت الآية الشريفة على ذلك فقط ...

هذه آية كونية ذكرها القرآن وقدمها للزمن الطويل ومرت السنون والاعوام بالمئات وبالقرون المتعددة وتطور العلم وزادت المعرفة وقامت

النظريات والأبحاث .. فهل تعارضت مع الواقع ..؟ وهل ثبت نقيضها ..؟ وهل جاء ما يلغيها ..؟ ومهما زادت الأبحاث وانتشرت التجارب .. ومهما قامت الآلات والاكتشافات .. فهل تتنافى مع تلك الآية ...؟

ثم انظر معي إلى قوله تعالى « وأرسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ » . ذكر في عصر لم تكن للنظريات قائمة أو وجود يوم أن كان الغرب يغط في نومه وفجوره.. ويجري وراء شهواته ونزواته . ذكر في الصحراء المقفرة الجدباء وبين الجبال الموحشة .. وانساب الينا هذا القول الرباني عبر الأزمان متناسقاً صادقاً ناطقا بأن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

صحا الغرب من غفوته البعيدة وتيقظ يبحث عن العلم والمعرفة وتطورت الأيام فأثبت علم النبات بأن التلقيح إما أن يكون صناعياً كالنقل بالأيدي من الذكر إلى الانثى .. وإما أن يكون طبيعياً وذلك بنقل اللقاح عن طريق الرياح ...

فأي تناقض هنا بين الدين والعلم ...؟ وأي تصادم رآه المؤلف ..؟ وأي خرافة أو تباعد بعد هذا التوافق ...؟

ثم اقرأ ـ إن شئت ـ قوله تعالى « والأرْضَ بعد ذلك دَحَاها[١] » ترى فيها التوافق والتناسق بين الدين والعلم .. وتجد السبق والتقدم في الإسلام الذي تلقى أخباره وتعاليمه من السماء ولم يعتمد على التجارب والمختبرات والقياسات .. فأثبت كروية الارض التي لم يصل اليها العلم الحديث إلا بعد جهد كبير وسعي متواصل ...

ثم لنسمع أيضاً قوله تعالى (وجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شيءٍ حيٍّ » ..

---

(١) دحاها : أي كورها .

فلقد ثبت علميا بأن الماء عنصر ضروري لكل كائن تدب فيه الحياة ...

إن الباحث إذا تناول أقوال القرآن لخضع إجلالا واكباراً أمام عظمته وآمن أشد الإيمان بأنه تنزيـــل من لدن إله حكيم ورب عظيم .. وإلا لو لم يكن من عند الله .. فمن الذي يستطيع أو يقدر بالإتيـــان بهذه الأمور من تلقاء نفسه .. وقد اجتهد العلماء عن طريق الأبحاث حتى وصلوا إليها بعـد زمن طويل ...؟

وهناك الكثير من الآيات الصادقة تتلاقى مع العلم في تجاوب وانتظام فلا تعارض ولا تصادم ولا سلبية كما تصورها وصورها مؤلف نقد الفكر الديني ليلقي عليها دخانا وضبابا وغطاءً كثيفاً ليحجب جلاءها وصفاءها.. ونقاءها وبهاءها عن أعين الناظرين ...

وبالتالي نراه يعمد إلى الشبهات ويأخذها من الوجهة التي يرغبها ويميل إليها متباعداً عن الواضح الجلي منها ليقذف الشكوك والأوهام في العيون والقلوب.. والخواطر والأفكار ...

ومن هنا يتضح خداعه ويظهر قصده من حملته الطائشة الهوجاء على الأديان السامية والعقائد الطاهرة والنفوس المؤمنة العالية .. حيث قـــال في مزاعم كتابه نقد الفكر الديني :

« وتتضخم في مثل هذا الجو المحموم مشكلتان أولاهما فكرية ثقافية عامة هي مشكلة النزاع بين العلم والدين أي الإسلام بصورة رئيسية بالنسبة لنا.. والثانية مشكلة خاصة يعانيها كل من تأثرت ثقافته تأثراً جذرياً بالثقافة العلمية التي بدأت تكتسح مجتمعه

ومحيطه. فيضطر لأن يواجه من جديد سؤالاً أساسياً:

هل باستطاعتي أن أتقبل بكل نزاهة وإخلاص المعتقدات الدينية التي تقبلها آبائي وأجدادي دون أن أخون مبدأ الأمانة الفكرية .؟ هذا هو السؤال الكامن خلف مقال جيمس وخلف تساؤلاته»...

كتاب نقد الفكر الديني ص ٢١

* * *

إن المتصفح لهذه العبارة يرى أولاً التناقض واضحاً في كلمات المؤلف إذ أنه قال (أي الإسلام بصورة رئيسية بالنسبة لنا) ففي هذا القول يدخل الناقد نفسه بين المسلمين حيث اجتمع معهم في الضمير الكائن في قوله (لنا) مع أنه بإنكاره وجود الله فقط أصبح كافراً بل مرتداً .. وأعتقد أن هذا التخبط يدل على التذبذب وعدم التثبت .. ويعطي للقارىء فكرة عن الحيرة والسذاجة والميوعة التي وقع فيها .. حيث قال بعد ذلك (هل باستطاعتي أن أتقبل بكل نزاهة وإخلاص المعتقدات الدينية التي تقبلها آبائي وأجدادي دون أن أخون مبدأ الأمانة الفكرية ..؟)

ونحن بدورنا نقول للمؤلف بكل نزاهة وإخلاص: نعم، تقبل هذه المعتقدات الدينية التي تقبلها آباؤك وأجدادك .. ولا تخشى شيئاً فلن تخون مبدأ الأمانة الفكرية بذلك أبدا .. وإن كنت تنسب الجهل لآبائك وأجدادك، والغباء والسذاجة .. فنحن نخالفك في هذا ونصفهم بالعقل والحكمة والاتزان ..وإن كنت تعتقد أن الإيمان يأتي عفواً أو بالوراثة فأنت على غير صواب .. بل هو نتيجة بحث ودراسة، وثبت لدى الآباء والأجداد صحته وحقيقته بعد أن نقلوه بدورهم عن السابقين الذين رأوا وضوحه وصدقه وبعدما تبين لهم جوهره

الناصع ومعدنه الاصيل .. وليتك – بعلمك – كنت مثلهم إذن لاصبحت في عداد المؤمنين .. ولكنت في غنى عما أنت فيه الآن من كفر وارتداد..

ثم أي أمانة فكرية تزعمها مناقضة للدين ..؟ إن هذا التناقض لم يكن إلا اختلاقاً من الملحدين الضالين الذين انحرفوا فضاعوا في بيداء الباطل ومتاهات الشكوك والاوهام بعد أن طمست عيونهم فهم لا يبصرون ...

ومن حقك أيها القارىء العزيز أن تضحك معي على هذه العبارة التي وردت في أباطيل المؤلف حيث قال : (هـــذا هو السؤال الكامن خلف مقال جيمس وخلف تساؤلاته) ...

يا لله ...! هكذا يقع الإنسان فريسة للضياع عندما يتجرد من الإيمان ويصبح هزيلاً متأرجحاً بين لطمات الامواج وصفير الرياح .. لا يسمع إلا ضحكات الشياطين ...

تصور معي أيها القارىء كيف يترك إنسان العقائد الثابتة والمبـــادىء الراسخة المدعمة بالأدلة والبراهين .. ويذهب إلى مقال جيمس وتساؤلاته .. فمن هو جيمس أيها المؤلف..؟وما هي أدلته التي ساقها على بطلان الاديان..؟ وهل بلغت به العبقرية لان نقلده وننقاد له ونلتزم بأفكاره ..؟ وهل أنت بسيط ساذج إلى هذا الحد .. ؟ وهل تطالبنا بأن نكون معك لنقع فـــيما وقعت فيه ...؟ وهل هذا من السهل في نظرك ...؟

لا أيها المؤلف .. لسنا معك..ولن نترك ديننا من أجل حبيبك وقدوتك «جيمس» ..ولن نؤمن به أو بما يقول .. فأنت تعتبر كلامه فلسفة وحكمة.. ونحن نراه زيفاً وباطلا .. ولئن ثبت لديك فلن يثبت عندنـــا .. فنحن لا نتلقى عقائدنا إلا بعد تأكد وتمحيص وليس بالوراثة والتقليد كما تزعم ...

إن الدين الذي وصل إلينا لم يكن بدافع الهوى ولا بمحض الصدفة وإنما أتى الينا بعد صراع عنيف بين الحق والباطل .. ونتيجة تناحر بين التوحيد والإشراك .. حتى تسلمناه من خلال الأحداث وثنايا الأبحاث رائقاً صافياً .. لامعاً متألقاً .. ناصعاً مشرقاً ...

وإن ما ورد بكتابك ص ٢٥ الذي تقول فيه :

«لا شك أن القارىء يعرف التعليل الإسلامي التقليدي لطبيعة الكون ونشأته ومصيره . خلق الله هذا الكون في فترة معينة من الزمن بقوله كن فيكون . ولا شك أنه يذكر حادثة طرد آدم من الجنة تلك الحادثة التي بدأ معها تاريخ الإنسان على هذه الأرض . ومن صلب المعتقدات الدينية أن الله يرعى مخلوقاته بعناية وهو يسمع صلواتنا وأحياناً يستجيب لدعائنا . ويتدخل من وقت لآخر في نظام الطبيعة فتكون المعجزات» ...الخ

نقد الفكر الديني ص ٢٥

* * *

عفواً أيها القارىء إذا عرضنا عليك هذا الضلال الذي يغلفه الباطل من كل جانب . اضبط أعصابك وتعال معي لنرى هذا البهتان الذي يدعيه المؤلف فيزعم أن إيماننا الوطيد أخذ بهذه المعتقدات قضايا مسلمة دون بحث أو اجتهاد .. وكأن المؤلف تغافل عن الكتب الإسلامية العقائدية الزاخرة بالأبحاث والنظريات الفكرية التي طال فيها الكلام بعد إجهاد العقول لتقصي الحقائق والتعمق في المسائل والوصول إلى ما تطمئن إليه النفوس وتقره

الأفئدة .. حتى وصل إلينا سهلاً ميسوراً بعد أن بُذلت فيه عصارة الأفكار وذوب الأفئدة فأتى في أبدع صورة وأحسن مظهر لا يراه إلا المؤمنون ....

ويقتضينا الأمر ويدفعنا الواجب لمتابعة افتراءات ناقـــد الفكر الديني لطمس أقواله بالأدلة والبراهين . .

وإن كان المؤلف يسرد ادعاءاته بدون دليل أو يستعمل أدلة واهيــة لا يجوز لعاقل أن يتنزل إليها لأنها لم تكن نظريات علمية جدية بل ربما كانت مقالا لأحد الكتاب أو مجرد هراء أجوف القاه مخمور أو عابث مجنون بقصـــد التخريف والمجون كما ورد في الكتاب المذكور تلك السخرية الرقيعة التي نطق بها مفستوفليس فقال فيها :

«دار السديم الحار عبثاً في الفضاء عصوراً لا تعد ولا تحصى ثم بدأ يتقولب فخرجت منه الكواكب وبردت فتكونت البحار الغالية وارتفعت الجبـــال واضطربت ومن كتل الغيوم السوداء هطلت أمطار غزيرة فغمرت قشرة الأرض المائعــة وأخذت نطف الحياة تنمو في قـــاع المحيط وتكبر بسرعة تشكل أشجار الغابات والنباتات الضخمة ثم ظهرت وحوش البحار تتناسل وتتنازع وتبتلع بعضهـــا البعض ثم تنقرض » ... الخ

كتاب نقد الفكر الديني ص ٢٦

* * *

انظروا أيها العقلاء إلى هذا العبث الساخر الذي أتى بـــه المؤلف دليلاً

وبرهانا وحجة، ثم بعد ذلك يزعم أنه صاحب رسالة وأنه فذ في تفكيره .. قدير بآرائه . جاء ليخلص الدنيا من الجهل وينفرهم من الأساطير وينقذهم من الخرافات ..

ثم بعد ذلك يقف معه بعض الكتاب مدافعاً عنه مناصراً له ويعتبره من أصحاب المفاهيم وذوي الأفكار ... وكذلك نرى بعض الشباب يجرون وراء هذه السفاسف ويتأثرون بها دون وعي أو تدبر .. ويجندون أنفسهم في ترديد الأباطيل التي لوثتهم وهم لا يشعرون ...

« ومِنَ النّاسِ من يُعْجِبُكَ قَوْلُه في الحياةِ الدُّنْيا ويُشْهِدُ اللهُ على ما في قَلْبِهِ وهو ألَدُّ الخِصام ..

وإذا تَوَلّى سعى في الأرْضِ لِيُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الحرْثَ والنَّسْلَ واللهُ لا يُحِبُّ الفَساد ..

وإذا قِيلَ لهُ اتّقِ الله أخذتْهُ العِزّةُ بالإثْمِ فحسْبُهُ جَهَنّمُ ولَبِئْسَ المِهاد » ...

سورة البقرة

الحياة بعد الموت

نرى أن المؤلف بعد أن انتقل في كتابه من تمسكه بالتناقض الظاهر بين الدين والعلم إلى موضوع آخر.. يعود ثانياً إلى الموضوع ذاته بالإعادة والتكرار وكان من الواجب عليه أن يأتي بآية يقف على منطوقها ومفهومها ثم يأتي بنظرية علمية ثابتة تتعارض مع أعماق الآية القرآنية ولكنه لم يفعل مطلقاً..

ونحن في كلامنا السابق عرضنا بعض الآيات فوجدنا التوافق التام مع العلم

الحديث إذ أن الآيت التي من هذا النوع لا تتعرض إلا بوجه عام شامل .. وسأضرب لذلك مثلا . فقوله تعالى في سورة البقرة يذكر لنا: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المحيضِ ولا تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ من حيثُ أَمَرَكُمُ الله إنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِين » ...

هذه آية من القرآن الكريم تعرضت للإجابة على أسئلة الصحابة للرسول عما يجب عليهم إزاء فترة الحيض للمرأة .. فنزلت الآية الكريمة تحمل الجواب الشافي وتبين لهم ما يجب عليهم وتخبرهم بأن فترة الحيض غير صالحة لإتيان الرجل للمرأة لما فيها من الأضرار ولأن النفس الكريمة تعاف المرأة في هذه الحال،فنهى عن الجماع على تلك الصورةالكريهة. وعندئذ قد يتصور البعض أو يفهم بأن من حقه أن يأتي المرأة وقتئذ من خلفها، فأمرهم الله تعالى بترك هذه العادة المستقبحة التي تتأذى منها المرأة والتي تتنافى مع النسل والحرث والإنجاب،ولأن الطباع النزيهة تمقت هذه الطريقة.فبينت لهم الآية ما يجب عليهم اتخاذه فقال تعالى : « نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لكم فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أنَّى شِئْتُم » أي سواء كن مقبلات أو مدبرات بشرط أن يكون المقصود هو المكان الطبيعي المألوف ...

هذة آية كريمة قيلت من زمن طويل .. وتطور العلم والاكتشافات والأبحاث .. فهل ظهر تعارض مع القرآن في هذا الأمر ..؟ هل يسمح الطب الحديث بإتيان المرأة في فترة الحيض ..؟ وهل من صالح الرجل أن يأتي المرأة من خلفها آنذاك ..؟ وهل ظهر في الآية تخريف أو تحريف كما زعم المؤلف ..؟

لقد طلب من أهل الفكر الإسلامي أن يقدموا دليلاً واحداً للموافقة بين الدين والعلم وأن يتباعدوا عن الأساليب الخطابية وأعتقد أنني قد أجبت

المؤلف إلى طلبه ولم أكتف بدليل واحد بل قدمت أكثر من دليل .. ولو طلب المزيد فأنا على استعداد تام...ولكن عليه أن يسلّم ويذعن أمام إجابة طلبه والرد على ما خفي عليه .... ومن حق المؤلف أن يعرض هذه الآية الكريمة أمام العلم والأبحاث فإن وجد تناقضاً فليبرزه لنا فنكون من الشاكرين.. وبشرط ألا يستند هذه المرة بتفاهات بعض المخنثين من الغربيين الذين يمارسون أنواع الشذوذ وتمادوا في الانحلال فلا يجدون عيباً أو قبحاً أو استنكاراً ..

ولنترك إذن موضوع التوفيق بين الدين والعلم بعد أن فندنا مزاعم المؤلف وبعد أن قدمنا إليه بعض الآيات التي تتفق ولا تتنافى مطلقاً مع العلم وتطوره ...

وعلينا الآن أن ننطلق إلى موضوع آخر أشد كفراً وأكثر إلحاداً وأعمق ضلالا .. ألا وهو «الحياة بعد الموت» .. وسأعرض أولاً ما ورد بالكتاب.. يقول المؤلف :

«وفي مناسبة أخرى عندما سئل « رسل »: هل يحيا الإنسان بعد الموت .؟ أجاب بالنفي وشرح جوابه بقوله : عندما ننظر إلى هذا السؤال من زاوية العلم وليس من خلال ضباب العاطفة نجد أنه من الصعب اكتشاف المبرر العقلي لاستمرار الحياة بعد الموت .. فالاعتقاد السائد بأننا نحيا بعد الموت يبدو لي بدون أي مرتكز علمي . ولا أظن أنه يتسنى لمثل هذا الاعتقاد أن ينشأ وأن ينتشر لولا الصدى الانفعالي الذي يحدثه فينا الخوف من الموت. لاشك أن الاعتقاد بأننا سنلقى في العالم الآخر أولئك الذين نكن لهم الحب

يعطينا أكبر العزاء عند موتهم . ولكني لا أجد أي مبرر لافتراضنا أن الكون يهتم بآمالنا ورغباتنا فليس لنا أي حق في أن نطلب من الكون تكييف نفسه وفقاً لعواطفنا وآمالنا ولا أحسب أنه من الصواب والحكمة أن نعتنق آراء لا تستند إلى أدلة بينه وعلمية » ...

نقد الفكر الديني ص ٢٧

* * *

يا له من دليل ..! وما أضعف هذا الاستدلال ..! لقد كان من الواجب على المؤلف أن يعرف كيف يستدل. فإن القواعد الأصولية تشترط في الدليل أن يكون واضحاً جلياً لا يتطرق إليه الشك ولا يتسرب نحوه الريب فقالوا: « إذا تطرق الاحتمال سقط به الاستدلال » .. ولكنه خالف القواعد وتعمد أن يجعل كلامه فقط ، دليلاً كافياً لإثبات النظريات وتدعيم ادعاءاته .. وعلى هذا فإن كلامه لا يستحق الرد عليه .. ولكنني أتناول الموضوع بشيء من الإيضاح ليتبين وجه الحق مستندا إلى الفكر والعقل والمنطق .. ولن أسلك ما سلكه المؤلف الذي اكتفى بقوله وبقول « رسل » دليلا على مزاعمه حتى ولو كان خاطئاً .. نافياً كل ما عداه ولو كان صادقاً .. موجبا على الناس جميعاً أن يكذبوا كل من قالوا بالعالم الآخر وبالحياة بعد الموت .. وأن يطرحوا بأدلتهم عرض الحائط .. لماذا ..؟ لأن « رسل » العظيم .. فريد عصره وفلتة زمانه قال بعدم ذلك ...

يكفيكم أيها العقلاء أن « رسل » العبقري أخبر بعدم الحياة بعد الموت وإنكار العالم الآخر .. صدقوه ولا تكذبوه .. سلموا لرأيه ولا تجادلوه ..

أما ورد إليكم عن ربكم .. وما آتاكم من رسلكم عن العالم الآخر فارفضوه ولا تصدقوه ولا تأخذوا به .. ومهما قامت لديكم الحجج فتناسوها لأنها تعارضت مع « رسل » الخالد .. صاحب الكرامة العظمى والهالة الكبرى.. ولأن كلامه صدق لا يحتمل الشك أو البطلان .. ولا يتطرق إليه الزيف والارتياب ...

هذه أدلة رجل يرمي أهل الأديان بالسذاجة والتسليم والانقياد والإذعان الذي لا يستند على أدلة مادية .. ولا يرمي نفسه بالسذاجة والبساطة عندما يتقبل كلام « رسل » فرضية مسلمة بدون دليل أو برهان .. وإلا فأين الأدلة والبراهين التي ساقها « رسل » على عدم الحياة بعد الموت سوى أنه أجاب بالنفي .. قيل له :هل هناك حياة أخرى فقال : لا ...

بالله عليك أيها القارىء أتوافق على هذا الكلام ..؟ وأنت أيها المؤلف أستحلفك بعقائدك هل ترضى بنفي « رسل » للعالم الآخر دليلا على عدم وجود عالم آخر ...؟ وكيف أخذت كلامه سهلا ليناً وأنت الناقد المفكر الذي عاب على المؤمنين في اعتقاداتهم ويقينهم ...؟

ولماذا لا تعيب على نفسك هذا التسليم والانقياد ...؟

ولماذا لم تأخذ بالأخبار الدينية التي استعملت الأدلة في الاثبات ...؟

أليس هذا تحيزاً وانتصاراً لطرف دون الآخر على غير أساس ...؟

ومع هذا كله فمن حقك ومن حق كل معترض أن تقولوا :

إذن فأين الجواب ...؟

إن القائل بعدم وجود عالم آخر انحرف عن جادة الصواب .. إذ أن وجود العالم الآخر ضرورة حتمية لا ينتظم الوجود بدونها .. ولن تسلم

الحياة إلا بها ... فلو افترضنا وجود حياة دنيوية فقط لاختل نظام الدنيا.. واضطرب سير الكون .. وعمت الفوضى .. وذلك لأن القوانين الوضعيـــة وحدها مهما بلغت دقتها لا تضمن مقاومة الجرائم بأكملها..ولا تمتد يدهالعقوبة المجرم إلا إذا وقع تحت نظرها .. ويترتب على هذا أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى مآربه سواء أكانت مشروعة أو غير مشروعة مـــا دام بعيداً عن أعين الرقباء .. وأن يفعل ما تسوله له نفسه من خير أو شر ما دام في مأمن من طائلة القانون ...

وعندئذ يفعل أصحاب الجاه والسلطان ما يشاءون .. ويعبثون بالحقوق كما يريدون ما دامت السلطة بأيديهم ... وبذلك يصير الضعفاء نهباً للأقوياء فتضيع الحقوق ويضطرب نظام الوجود ... وهذا أمر بديهي ونراه كثيراً ويقع أمامنا كل يوم لأن النفس البشرية أمارة بالسوء . ولأن الإنسان لو استمد تصرفاته من عقله أو ضميره فقط لا يؤمن .. لأن بعض العقول تقدم على بعض الأمور على أنها من الخير ولكنها في حقيقتها شر مستطير ...

أما إذا اعتقد الانسان أن هناك إله يراقبه ويراه .. ويحاسبه عما قدمت يداه. وأن هناك عالماً آخر يسأل فيه عما فيه ضرر لسواه .. فإنه يكف عن الظلم .. ويبتعد عن الأذى .. ولا يفعل إلا ما يوجبه عليه إيمانه. . وتفرضه عقائده .. ويتطلبه ضميره الذي تشبع بالإيمان واليقين ...

ومن هنا يتضح لنا حتمية وجود عالم آخر .. فما الموت إلا بداية حياة حياة ثانية .. حياة أخرى .. هي دار الجزاء .. هي دار الحساب .. هي دار وضع الحقوق في نصابها ...

وأنا أتوجه بدوري الى مؤلف نقد الفكر الديني بالسؤال التالي : هـل يجوز في نظرك ومنطقك أن يفعل الإنسان القوي مـا يتفق وأهواءه .. وحسب ما تميل إليه نفسه ونزعاته إذا كان في منأى عن يد القانون ...؟

وأن تضيع حقوق الضعفاء الذين لا ناصر لهم ولا معين ...؟

ودون أن تكون هناك سلطة ربانية عليـا تستطيع بقدرتها أن تحاسب البشر جميعاً ثم تعطي الجزاء المناسب ..؟

إن العقل يفرض وجود العالم الآخر حتى يصبح الجميع في مساواة عادلة... وإن منطق الحق يحتم الإيمان بالحياة بعد الموت لإعطاء كل ذي حق حقه ... إن الزاني حين يرتكب جريمته الشنعاء لما فيها من هتك الأعراض واختلاط الانساب لا يمارسها إلا في الخفاء .. والسارق حين يسرق فإنمـا يفعل ذلك في السر والكتمان ..وهكذا أكثر الجنايات لا يقوم بها الجناة إلا تحت الأستار الكثيفة.. فمعنى هذا أنهم يفلتون من العقاب مطلقاً إذا لم يؤمنوا بالحياة الثانية بعد الموت ... وعندئذ لا يأمن الإنسان على نفسه أو عرضه أو ماله ..

هذه أدلة العقل والمنطق والفكر تقضي بضرورة وجود عالم آخر ...

وفوق هذا الإستدلال فإننا لا نتغافل أبداً عن النصوص الواردة في جميع الكتب السماوية للأديان كلها التي وصلت إلينا متواترة مترابطـة متناسقة والتي نؤمن بها أعمق الإيمان ...

نعم إن الاعتقاد بالمجهول قد يكون شططًا أو عاطفة وهميـة في نظر

المتحررين من الأديان.. الخالين من الإيمان .. لكنه عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين الصادقين ...

« رَبَّنا إنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادي لِلإيمــانِ أنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فآمَنـّا ربَّنا فاغْفِرْ لنا ذُنوبَنا وكَفِّرْ عنّا سَيِّئاتِنا وتَوَفَّنا معَ الأبْرار.. رَبَّنا وآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ ولا تُخْزِنا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعاد » ... سورة آل عمران

سحق الأباطيل

الاسلام والخيال

لقه عجبت حتى تحول العجب إلى ضحك وانقلب الضحك إلى حسرة عندما وقع نظري على قول المؤلف :

(لنقارن بين هذه النظرية العلمية الباردة القاسية وبين القصة الدينية الإسلامية الجميلة المريحة الدافئة التي تعودنا عليها . نجد أن الملائكة والغيبيات والصلوات والمعجزات والجن تؤلف جزءاً لا يتجزأ من التعليل الديني لنشأة الكون وطبيعته . كذلك الأمر بالنسبة لتاريخ الإنسان ومصيره . أما النظرة العلمية فقد عبر عنها أحسن تعبير فيلسوف وعالم رياضي « لابلاس » عندما قدم كتابه «نظام الكون» هدية لنابليون فسأله الإمبراطور وما المكان الذي يحتله الله في نظامك ؟. فأجاب « لابلاس »: « الله فرضية لا حاجة بها في نظامي » . فهل من عجب إذن أن نسمع « نيتشه » يعلن في القرن الماضي أن الله قد مات . وهل باستطاعتنا أن ننكر أن الإله الذي مات في أوربا بدأ يحتضر في كل مكان تحت وقع تأثير المعرفة العلمية . والتقدم الصناعي والمناهج

العقلية في تقضي المعرفة والاتجاهات الثورية في المجتمع والاقتصاد ؟ عندما نقول مع نيتشه أن الله قد مات أو هو في طريقه إلى الموت فنحن لا نقصد أن العقائد الدينية قد تلاشت من ضمير الشعوب وإنما نعني أن النظرة العلمية التي وصل إليها الإنسان عن طبيعة الكون والمجتمع والإنسان خالية من ذكر الله . تماماً كما قال « لابلاس » ..)

كتاب نقد الفكر الديني ص ٢٨

* * *

وبعد .. فهل يُعتبر هذا الهراء الأجوف كلاماً منطقياً فكرياً ؟.. أو حتى مجرد كلام ..؟

وهل يجوز أن يصدر عن إنسان مثقف ؟.. أو حتى عن جاهل ؟..

وهل هذا طريق استدلال في عرف الفلاسفة وأساتذة الرياضيات ؟..

وهل من واجب الأمانة العلمية التي ينادي بها المؤلف أن نأخذ الكلام جزافاً بدون استدلال ؟..

أينا إذن الذي يقع تحت تأثير الخرافات والأباطيل ؟.. نحن أم المؤلف ومن على شاكلته ؟..

وهل يرضى هؤلاء الذين قرأوا الكتاب العَظـمِي وتأثروا به وتعصبوا له وثاروا من أجله عن هذا الموقف الهازىء الساخر وعن هذا الهذيان ؟...

حقاً .. ليس بعد الكفر ذنب .. وصدق من قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ...

وقبل أن أبدأ في الحديث عن هذا الموضوع والتعليق عليه .. أحب أن أبين أن ادعـــاء المؤلف باطل من أساسه .. منقوص من أوله .. مردود على صاحبه .. لأنه خال من كل ما يلزم للإثبات فلا دليل لديه ولا برهان عليه.. وبالتالي يصبح ساقطاً كأي لغو مبتذل أو لغط مهمل ...

ولست في ذلك متعصباً أو مغالياً أو متطرفاً .. فـــإن أي مطلع على عبارات نقد الفكر الديني السابقة يستطيع أن يلحظ ذلك بدون جهـد أو عناء .. إذ أن المؤلف سرد أباطيله مهتزة هزيلة ولم يدعمها بأي حجة أو شبه دليل .. ومع فساد اعتقادات المؤلف وسقوطها في ميزان الفكر ونظرالمنطق إلا أنني أرى من الواجب أيضاً أن أتولى الرد موضوعاً بعد موضوع ليكون فيه تثبيت لأولي الألباب والأديان..وصفعة تلطموجوه الملحدين والمتحللين... من كلام المؤلف العبارة التالية :

(لنقارن بين هذه النظرية العلمية المجردة القاسية الباردة وبين القصة الدينية الإسلامية الجميلة المريحـة الدافئة التي تعودنا عليها نجد أن الغيبيات والملائكة والصلوات والمعجزات والجن تؤلف جزءاً لا يتجزأ من التعليل الديني لنشأة الكون وطبيعته ..)

إن الإسلام روى لنا أخبار الماضي بدقة وأحكام متواترة مع ما ورد في جميع الكتب السماوية الأخرى .. وليس المقصود من سردها أن تكونقصصاً دافئة فقط، ولا ضرباً من ضروب الخيال والأوهام، أريد منها ضياع الوقت وهز المشاعر وحشو الأفئدة .. بل لنستنبط منهـا العبرة .. ونستوحي من خلالها جوهر الحق .. ونأخذ من ثناياها المواعظ .. ونتبين في رحابها أن وعد الله لا يتخلف .. وأن سنته في هذا الوجود أن النصر والفوز والفـلاح دائماً للحق .. وأن الهزائموالفشل والخسران نهاية الضالين الظالمين المتمردين..

وأرى لزاماً علي أن أقوم بتقديم بعض الآيات القرآنية التي تتضمن طرفاً من الأخبار الماضية .. ليتبين لنا هل قصد منها مجرد الدفء والراحة كما تصور أو ادعى الملحدون الناقدون . قال الله تعالى في محكم كتابه :

« وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ اجْعَلْ هٰذا البَلَدَ آمِناً واجْنُبْني وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنامَ .. رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كثيراً من النّاس فمنْ تَبِعَني فإنَّهُ مِنّي ومن عَصَاني فإنَّكَ غفورٌ رحيم .. رَبَّنا إنّي أسكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيْرِ ذي زَرْعٍ عند بيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيموا الصَّلاةَ فاجْعَلْ أفْئِدَةً من النّاسِ تَهْوي إلَيْهِمْ وارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لعلَّهُمْ يَشْكُرُون .. رَبَّنا إنَّكَ تعْلَمُ ما نُخْفي وما نُعْلِنُ ومـا يَخْفَى على اللهِ من شيءٍ في الأرض ولا في السَّماء .. الحمدُ للهِ الّذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسْماعيلَ وإسْحاقَ إنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعَاء .. رَبِّ اجْعَلْني مُقيمَ الصَّلاةِ ومن ذُرِّيَّتي رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعاءِ .. رَبَّنا اغْفِر لي ولوَالدَيَّ ولِلمؤْمِنينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَاب » ...

سورة إبراهيم

آيات كريمة تناولت طرفاً من تاريخ قديم تحكي صورة صادقة واقعية عن سيدنا إبراهيم .. وإبراهيم لم يكن شخصية وهمية متخيلة .. بل هو معروف ظاهر ينتسب إليه العرب .. ومن الصفات التي اشتهر بها العرب عبر القرون حفظهم للأنساب .. ذكر الله تعالى بعض مواقفه ومبادئه .. ثم توسلاته إلى ربه آملا منه إكرام ذريته وهدايتهم .. راجياً لهم اليسر والرخاء في هذا الوادي المقفر البلقع الذي لا زرع فيه ولا نبات وقتذاك .. وأن يغدق عليهم من نعمائه .. ثم بعد ذلك توجه إبراهيم لربه شاكراً له تفضله عليه بما وهب إياه من النسل والإنجاب بعد أن امتد به العمر وتقدم السن .. فتقبل الله دعاءه .. ولبى نداءه ...

لم يصور القرآن إبراهيم بأنه العنقاء أو الغول – كما تصور – نقد الفكر الديني ولم يحك أنه كان من طبقة مغايرة للطبقة البشرية .. فأي مبالغة أو تهويل هنا .؟ وأي أسطورية وردت في هذا التعبير ..؟ إنه لم يكن سوى تصوير لواقع أيدته الأيام ودعمته الدهور .. قال القرآن قوله هذا ولم تكن تلك الأماكن إلا قفراً وجدباً .. صحراء قاحلة .. عديمة النبت والزرع .. جبال سوداء شامخة ليس فيها أثر لحياة ولا يرجى منها الخير ...

فأصبحت تلك الأراضي الآن في عصرنا وزماننا .. أمام أعيننا وتحت سمعنا .. مصدراً للخير والنماء .. وتفجر فيها الذهب الأسود هذا البترول الذي يتدفق في السعودية منساباً فياضاً .. وهذه التجارات الواسعة .. وهذا الازدهار المحسوس للجميع والعمران الواسع الممتد.. والنعم المتعددةالوفيرة.. وملايين الحجاج المتلهفة التي تأتي من كل فج عميق بدون حدود .. هذه الأعداد الغفيرة التي تذهب لأداء فريضة الحج المقدسة يفدون عليها من مختلف بقاع الأرض .. من شرق العالم وغربه.. على مختلف أجناسهم وتغاير لغاتهم.. تجمعهم كلمة واحدة.. يربطهم شعور متوافق متمازج فيهم القوي والضعيف.. ومنهم الكبير والصغير .. وبينهم الذكر والأنثى والرؤساء والمرؤوسون .. تركوا دنياهم .. وهجروا ديارهم .. لا يمنع المرأة الحامل حملها .. ولا التاجر متجره .. ولا الغني ماله وإدارته..ترى الجميع وهم في تناسقهم وانتظامهم– وكأنهم موكب ملائكي .. يطوفون بالبيت العتيق هذا الذي بناه إبراهيم .. فإذا أذن المؤذن فلا تسمع إلا همساً – رغم كثرة العدد – إذا قرأ إمامهم وقفوا صامتين .. وإذا ركع انحنوا راكعين . وإذا سجد خروا ساجدين .. في انتظام بديع .. واجتماع متناسق .. ومظهر من مظاهر السمو والجلال .. بين تكبير وتهليل .. وتلبية وتسبيح .. وخضوع وخشوع.. وإيمان ويقين.. متعاونين متآزرين متجاوبين ..

ويعجب الرأي لهذه المسيرة الروحية .. لهذا الركب الديني .. متسائلاً

أي قوة جمعتهم ..؟ وأي إدارة نظمتهم ..؟ وأي تعاليم وجهتهم ..؟ إن الجيش يحتاج إلى تعليم الأفراد وتدريبهم للإتيان بحركة موحدة .. وهناك من يتولى الأمر والربط .. والإشراف والضبط .. وهؤلاء تنبثق حركاتهم من وجدانهم الطاهر .. من مشاعرهم النقية .. التي اجتمعت وجهتهم حول قبلة واحدة .. وتحت راية واحدة .. وتحت كلمة واحدة .. كل هذا – يا سيادة المفكر الناقد – بفضل الدعاء الذي نطق به إبراهيم .. والذي ورد في القرآن الكريم ..

« وإذْ بَوّأنا لإبراهيمَ مَكانَ البَيْتِ ألاّ تُشْرِكْ بي شَيْئاً وَطهّرْ بَيْتِي للطّائِفين والقائِمين والرُّكّعِ السُّجود ..

وأذّنْ في النّاس بالحجّ يأتوكَ رِجالاً وعلى كُلّ ضَامِرٍ يأتينَ من كلّ فَجٍّ عميق .. لِيَشْهَدوا مَنافِعَ لَهُم ويَذْكُروا اسْمَ الله في أيّامٍ مَعْلومَاتٍ على ما رَزَقَهُمْ من بَهيمَةِ الأنْعامِ فَكُلُوا مِنْها واطعِمُوا البائِسَ الفَقير » ... سورة الحج

نعم كان من حق المؤلف أن يرمي القرآن بأنه قصص دافئة مريحة – كما زعم – إذا لم نجد هذه المظاهر .. إذا لم نشاهد هذا الواقع ... ويمر الزمن أكبر شاهد على صدق وعد الله .. وعلى تناسق القرآن ... وعلى صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ومن سبقه من الأنبياء والمرسلين ...

لقد أخبرنا القرآن عن هذا العمران الممتد الواسع في الوادي المذكور وقت أن كان مجدبا مقفرا على صفحة الصحراء وأشباح الجبال .. ويوم أن كانت الحياة هناك صعبة عسيرة ...

فهل كان محمد عليه السلام يعلم بما سيصير ؟.. ثم هـل كذب الواقع أخباره ؟...

وهل بعد هذا البيان الواضح والشاهد القوي يقـال أن هذا من نوع الأساطير ؟...

ويحسن بي أن أعرض للقارىء العزيز صورة أخرى من صور الطهر والنقاء وضعها القرآن في أبدع إطار مجردة من الأوهام والخيالات فيقول :

« إنَّ اللهَ اصْطفى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْرانَ على العالمَين .. ذُرِّيَّةً بَعْضُها من بعضٍ واللهُ سميعٌ عليمٌ .. إذ قالَتِ امْرأةُ عِمْرانَ رَبِّ إنّي نَذَرْتُ لكَ ما في بَطْني مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنّي إنَّكَ أنْتَ السَّميعُ العَليم .. فلما وضَعَتْها قالت رَبِّ وَضَعْتُها أُنثى واللهُ أعْلَمُ بما وضَعَتْ وليس الذَّكَرُ كالأنْثى وإنّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وإنّي أُعيذُها بِكَ وذُرِّيَّتَها من الشَّيْطانِ الرَّجيم .. فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وكَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دخَلَ عَلَيْها زكَرِيَّا المِحْرابَ وجدَ عِنْدَها رِزْقاً قال يا مَرْيَمُ أنّى لكِ هذا قالتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ منيشاءُ بِغَيْرِ حِسَاب.. هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لي من لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طيِّبَةً إنَّكَ سَميعُ الدُّعاء..فَنادَتْهُ الملائِكَةُ وهُوَ قائِمٌ يُصَلّي في المِحْرابِ أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ من اللهِ وسَيِّداً وحَصُوراً ونَبِيّاً من الصّالِحين .. قال رَبِّ أنّى يَكونُ لي غُلامٌ وقد بَلَغَني الكِبَرُ وامْرَأتي عاقِرٌ قال كَذلكَ اللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ .. قالَ رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً قال آيَتُكَ ألاّ تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَةَ أيّامٍ واذكُرْ رَبَّكَ كَثيراً وسَبِّحْ بالعَشِيِّ والإبْكار.. وإذْ قالتِ الملائِكَةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ اصْطفاكِ وطَهَّرَكِ واصْطفاكِ على نِساءِ العالمين.. يا مَرْيَمُ اقْنُتي

لِرَبِّكِ واسْجُدي وارْكَعي مع الرّاكِعين .. ذلِكَ مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إليْكَ وما كُنْتَ لديْهِمْ إذْ يُلْقونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذ يَخْتَصِمون . إذ قالتِ الملائِكَةُ يـا مَرْيَمَ انَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المسيحُ عيسى ابْنُ مَرْيَمِ وَجيهاً في الدُّنْيا والآخِرَةِ وَمِنَ المقَرَّبين .. ويُكَلِّمُ النّـاسَ في المَهْدِ وكَهْلاً ومِنَ الصّالِحين » ...

سورة آل عمران

نزلت هذه الآيات المشرقة على محمد ﷺ تظهر له الحقيقة الموضوعية في زمن كان اليهود يرمون خلاله السيدة مريم العذراء البتول بالفحشاء والزنى وذلك بعد أن نبذوا التوراة وراء ظهورهم .. فلو كان محمد عليه السلام يأتي بالقرآن من عنده لاستغل هذه الظروف المواتية .. وانتهز الفرصة ليكسب جانب اليهود ويجاريهم فيمزاعمهم وافترائهم ليحظى بإرضائهم واستمالتهم إليه .. وينفر بالتالي المسيحيين من رسولهم ويبعدهم عنه .. لكنه لم يكن انتهازياً .. ولأنه لم يكن مدعيا .. ولم يأت بشيء مغرض سوى ذكر الحقيقة وتسجيل ما أمر بتبليغه من ربه بأمانة ونزاهة وإنصاف .. في الوقت الذي رمـاه بعض المسيحيين بالكذب والافتراء .. ووصفوه بأنه ساحر مجنون .. ومـع هذه العوامل التي تدفع غالباً إلى الانفعال والتأثر لم يرو إلا الحق .. ولم يقل إلا ما أنزله الله عليه ..

وإذا كان هذا الكلام الوارد في القرآن أسطوريا – كما زعم مؤلف نقد الفكر الديني .. فكيف صدقته الملايين ؟...

إننا نسمع الأساطير منذ نعومة أظفارنا .. ومع مـا فيها من تشويق واجتذاب .. وشد للنفوس .. ولمس للخواطر .. الا أننا نعتبرها أطيافـا

انتزعت من الخيالات .. واقتطفت من الأحلام قصداً للتسلية وقتلاً للوقت وتخديراً لعقول الأطفال استجلاباً للنوم وطلبا للنعاس ...

بقي للمؤلف أن يقول : وكيف نصدق وقوع هذه الأحداث...؟ فأقول بأن التواتر الذي وصل من الأجيال المعايشة الى من بعدهم ثم الينا أكبر دليل.. لأن الأجيال الغابرة لم تؤمن بذلك الا بعد أن قامت لديهم البراهين..والا.. أي لو أنكر المؤلف هذا التواتر .. فعليه أن يكذب كل ما وصل الينا من تاريخ السابقين .. أو أن يثبت لنا صحة التواريخ السالفة ...

فمثلا اذا أنكر شخص ما وجود سقراط أو أفلاطون أو غيرهما من الفلاسفة فماذا يقول المؤلف في إثبات ذلك ؟.. طبعاً سيقول : آراؤهم وفلسفتهم وردت الينا عن طريق التواتر .. وعن طريق الكتب .. وليس عنده غير ذلك .. ونحن كذلك نقول بما سيقول به .. والا وصف حينئذ بالتميز لطرف دون الآخر بلا دليل وهذا مردود وغير مقبول ...

ثم لماذا يصدق المؤلف ماسمعه عن فلاسفة ماتوا واندثروا منذ آلاف السنين .. ولا يصدق بما سمعه عن الأنبياء والمرسلين ؟...

أليست هذه هي الإيدلوجية الغيبية التي يندد بها ويعيبها على أهل الأديان ؟...

مما تقدم يظهر أمامنا بوضوح أن القرآن الكريم لم يكن قصصاً دينية دافئة مريحة بل هو سجل حافل بالصدق .. ناطق بالحق .. أنزله المولى عز وجل لنطلع من خلاله على أسرار الوجود التي تعجز عنها عقولنا .. وتقصر أمامها أفكارنا ...

واذا كان العلم لم يصل الى أسراره .. فإنما ذلك نتيجة العجز وعدم

القدرة اذ أن العلم مهما نمـــا وازداد .. وأن العقول البشرية مهما نضجت وتفتحت – لا ترى الا القليل البسيط .. رغم ما وصلت اليه من تقـــدم واختراع .. أمام عظمة الكون بما فيه من أسرار ومغاليق يقصر عنهـــا النظر .. ويحار ازاءها الفكر ... « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »...

نعم .. لم نؤت من العلم الا القليل .. فالانسان – مهما كان علمه – يقف عليل العقل .. حائر اللب .. أمام أكثر الأشياء من العناصر الكونية التي نراها ونلمسها فضلا عن العديد من الموجودات التي تملأ العالم ولم تقع تحت أنظارنا أو أسماعنا ولم تصل اليها مداركنا .. وهنا تظهر ضآلتنـــا ويثبت قصورنا عندما يكشف عن أمر جديد لم نعرفه من قبل .. وقبل اكتشافه لنا نجهله جهلا تاماً متصورين عدم وجوده .. مدعين لأنفسنـــا الوصول الى كل الأشياء ...

ان في أعماق البحارأغواراً لم يصل اليها أي انسان وبالتالي لا يعرف عنها كثيراً أو قليلا .. وكذلك باطن الأرض بل ظاهرها يوجد فيها ما لا يعلمه الا الله .. وايضاً الفضاء وما به من عوالم وخفايا لا تحيط بها الافكار .. وان الوصول الى نقطة معينة منه فليس معناه أننا عرفنا عنه كل شيء .. فالقمر مثلا لم نستطلع خباياه ولم نكتشف كنهه .. واذا عرفنـــاه فهناك الملايين المتعددة من الكواكب والنجوم التي تسبح في الكون الفسيح الزاخر بالعجائب والغرائب ...

ولماذا نذهب بعيداً وهنا الروح ؟.. أقرب الأشياء الينا وألصقها بنـــا والتي فيها حياتنا وسر وجودنا لا نعرف من أمرها شيئاً حتى ولو عن طريق الظن .. فالانسان الذي بلغ حداً من الاختراع يخفى عليه الكثير من أسرارها وسبر أغوارهـــا .. واذا كان المؤلف ومن على شاكلته ممن يدعون المعرفـــة ويفاخرون بالاكتشاف والتقدم .. يعرفون شيئاً عن الروح .. فليكشفوا

لنا الستار عن جوهرها ومكنونها .. وعندئذ سنراهم حيارى بعد أن يقف العلم جامداً .. واللسان صامتا .. والعقل حائراً ... وصدق الله اذ يقول :

« ويَسْألونَكَ عنِ الرُوحِ قُلْ الروحُ من أمْرِ ربّي وما أُوتِيتُمْ من العِلْمِ الاّ قَليلا » ..

سورة الإسراء

ولنخرج من هذا الموضوع الذي أثبتنا فيه أن أخبـــار القرآن لم تكن قصصاً دافئة مريحة بل هي الحقائق التي لا يعتريها التناقض .. ولا يشوبها الكذب أو الزيف .. وختمت الرد بالآية الحكيمة « ويسألونك عن الروح » تصديقاً لوعد الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديهولا من خلفه .. ولتبقى تحدياً للخلق واثباتاً لعجزهم عن ادراك ومعرفة حقيقة نفوسهم ..

صلاة قلب ٧

نحن والله

قبل الدخول في هذا الموضوع أنحني راكعاً أمـام عظمة الله .. وأهوي ساجداً لعظمته وكبريائه .. منزها لقدسيته عن كل نقص .. ناسبا إليـه كل ما يليق بذاته العلية من صفات الكمال والجلال .. رافعاً إليه أكف الضراعة أن يلهمنا الصواب وأن يمنحنا الهداية .. وأن يعصمنـا من الزلل والضلال والإلحاد .. إنه سميع مجيب ...

لا تؤاخذني أيها القارىء العزيز عندما الفت نظرك لرؤية هـذه الصورة الكريهة من كلام نقد الفكر الديني .. فما قصدت ازعاجك أو اثارتك .. بل أردت من وراء ذلك أن تتوجه لربك بالشكر والثناء على أن هـداك ورزقك نعمة الإيمان ...

يقول المؤلف العبارة التالية :

« أما النظرة العلمية فقد عبر عنهـا احسن تعبير فيلسوف وعالم رياضي آخر « لابلاس » عندما قدم كتابه « نظام الكون » هدية الى نابليون فسأله الامبراطور وما المكان الذي يحتله الله في نظامك.؟ فأجاب « لابلاس » الله فرضية لا حاجة لي بهـا في

نظامي .. فهل من عجب اذن ان نسمع نيتشه يعلن
في القرن الماضي ان الله قد مات . وهل باستطاعتنا
ان ننكر ان الإله الذي مات في اوروبا بدأ يحتضر
في كل مكان تحت وقع تأثير المعرفة والتقدم الصناعي
والمناهج العقلية في تقصي المعرفة والاتجاهات الثورية
في المجتمع والاقتصاد ؟ طبعاً عندما نقول مع نيتشه
أن الله قد مات أو هو في طريقه الى الموت فنحن
لا نقصد أن العقائد الدينية قد تلاشت من ضمير
الشعوب وانما نعني أن النظرة العلمية التي وصل اليها
الإنسان عن طبيعة الكون والمجتمع والإنسان خالية
من ذكر الله تماماً كما قال « لابلاس » ...

كتاب نقد الفكر الديني ص ٢٨

* * *

هذه هي حرية الفكر التي ينادي بها المؤلف العبقري شوه بها جبين الفلسفة ووضعها وصمة سوداء على وجوه الفلاسفة .. فنحن نعلم أن الفلسفة تنشد الحقيقة وتوصل الى المعرفة .. لكنه لجهله بها وعدم ادراكه لها نسي أن النظريات قائمة على مقدمات ونتائج .. وخاض في مسألة بديهية يناقضها في ثباتها وصمودها بدون دليل .. والعبارة المذكورة نقلت حرفياً من كتابه .. فلن أكرر القول في تفنيدها والغائها .. ولكني أعجب الى هذا المستوى الفكري الذي وصل اليه هذا الإنسان ومدى الغرور المتأصل فيه وحجم التغافل الذي انحدر اليه .. كلمات ساقطة .. وخرافات بذيئة .. يستدل بها ويتوصل منها الى انكار حقيقة راسخة شامخة ... وأكثر من ذلك عجباً أن نرى أن بعض الكتاب أخذتهم الحمية وانبروا للدفاع عنه تحت شعار

حرية الفكر .. وغاب عنهم معنى الحرية، ونسوا أن هذا البذاء لم يكن من الفكر أو العلم في شيء .. فالفكر أسمى من أن يكون هراءً .. والعلم أعلى من إن يكون ضلالا .. والمنطق أكبر من أن يصير سباً وتهجماً .. ان للعلم محرابا قدسيا يستوجب الأدب والنزاهة والأمانة .. وللمعرفة رحابا ظليلة يقطف المرء من رياضها ازاهير الخير والفضيلة والجمال ...

ان الإنسان — بعلمه وفلسفته وفكره — ينحني خاشعاً ويقر عاجزاً امام هيكل اصغر الاسرار .. ويظل مبهوتا حائراً ازاء ابسط الكائنات .. ولو امعنا النظر في اقل حشرة من الحشرات فإننا نعود وقد ملكتنا الدهشة من حياتها وغموضها وخفاياها وما تنطوي عليه من الغاز ...

والزهرة الجميلة المتألقة الزاهية النابضة بالحياة على الأرض السوداء الميتة من ذا الذي وهبها الحياة ؟.. ومن اضفى عليها الحسن والإبداع ؟. ومن صبغها بالعديد من الألوان ؟.. وهذا الرضيع العاجز عن كل التصرفات .. من هداه لثدي أمه ؟.. وهذه الكواكب المنتشرة في الفضاء من وضعها على هذا النظام ؟.. وهذا اللبن الأبيض النابع من بين الفرث والدم .. من أنقاه وأصفاه ؟.. وهذا اللسان القادر على الافصاح .. من أنطقه وأجراه ؟.. وهذه الرياحين الفواحة .. من بعث فيها العبير والعطر والشذى الأخاذ ؟..

وسيقول المؤلف عندئذ : إنها الطبيعة ؟.. إنها سنة الحياة ...

وهنا أسأل : ما المقصود بالطبيعة ؟.. أليست هي الجمادات التي أمامنا ؟. أليست هي الأرض والسماء والبحار والجبال والوديان ؟...

فهل لشيء منها عقل يدبر الأمور .. وإرادة تنظم قوانينها ؟...

إن العالم يسير بدقة وتناسق .. فهل هذه الجمادات تملك قدرة الإشراف

على ذلك ؟. إن المصنع الصغير يحتاج إلى إدارة وتوجيـه منظم .. فهل هذا الكون الواسع المديد الرحيب بما فيه من كائنات وموجودات لا يحتـاج إلى من يدير شؤونه .. ويدبر أحواله ؟..

إن العقل والمنطق يناديان بأن هناك قوة خفية وراء هذا الكون تصيره وتتولاه .. وهذه القوة من البدهي أن تكون متصفة بالقدرة والكمال .. والعلم والإرادة .. وبالتالي تكون أكبر وأعظم من أن تحيط بها عقولنا .. لأننا ما دمنا بدورنا قد عجزنا عن الإحاطة بأسرار أصغر الكائنات إحاطة تامة جازمة .. فمن باب أولى نعجز عن الإحاطة بتلك الذات العلية المقدسة .. فما بال هؤلاء الضالين المفتونين المغرورين يتطاولون إلى ذات الله لا بحثا عنها بل إنكارا لها .. إن مجرد البحث فيها يؤدي إلى الإلحاد لأنه فوق الطاقة.. فما بال الانكار ؟...

مثل الإنسان الذي يحاول معرفة ذات الله تعالى قاصدا الوصول لاستجلاء أسرارها كمثل الذي يتطلع إلى الشمس بعينه لمعرفة حقيقتها فإنها تكويـه وتؤذيه ويصاب بالعمى قبل أن يعرف عنها شيئا ...

وهكذا تضل العقول وتتلاشى الأفكار عندمـا تتوجه إلى معرفة ذات الرب الأعظم .. وهنا يلتزم المرء حدوده ويكتفي بالتأمل في مخلوقات الله ليصل بها إلى الله ... فـالعجز عن درك الإدراك إدراك .. والبحث عن سر ذات الله إشراك ... ولا عجب إذن أن يقول سقراط الفيلسوف بعـد أن بلغ ما بلغ من العلم : « لولا أن في قولي لا أعلم .. إخبار بأني أعلم .. لقلت أني لا أعلم » ...

إن ادعاء العلم المطلق غرور وافتتان .. وكذب وافتراء .. فلئن تعمق المرء في الطب بجميع نواحيه فلا شك أنه يجهل الهندسة والبناء والتشييد ..

ومن أحاط بفن من الفنون فليس معنى هذا أنــه يحيط بكل الفنون ..
إلا أننا بمتابعتنا لكتاب نقد الفكر الديني نرى مؤلفه قد ادعى لنفسه المعرفة في مختلف العلوم فجعل نفسه عالما في الفلسفة والمنطق والكيمياء والطبيعيات والرياضيات والصناعات والسياسة والاقتصاد .. وفوق هذا جعل من نفسه فقيها يستنبط ويحكم على المسائل الدينية .. مستدلا بآراء أناس لا يعرفون عن الأديان شيئا .. فأخذ بقول « لابلاس » الذي ألقاه عابثا ساخرا .. ولم يكن سوى تفاهة آثمة .. ويكفي الدليل على انحطاطه أنــه من غير دين .. فكيف إذن يجوز له الحكم على شيء لم يعرفه ؟..

واستدل على كفره كذلــك بكافر آخر اسمه « نيتشه » الذي ظهر انحطاطه وجهله بقوله أن الله قد مات .. ولا يدري أنه بقوله هــذا أثبت فساد عقله .. وجُنح فكره .. ولوثة لسانه .. فاستحق اللعن والاحتقار ..
وهذا وذاك مصير كل معتد أثيم ...

ويتمادى مؤلف نقد الفكر الديني في مزاعمه محاولا أن يتمثل بالفلاسفة في حوارهم فوضع هذه الأضحوكة الهزلية فقال :

« عندما تقول لي أن الله هو علة وجود المــادة الأولى التي يتألف منها الكون . وأسألك بدوري وما علة وجود الله ؟ إن أقصى ما تستطيع الإجابة به .. لا أعرف .. إلا أن وجود الله غير معلول ..
ومن جهة أخرى عندما تسألني وما علة وجود المادة الأولى فإن أقصى مــا أستطيع الإجابة به ..
لا أعرف » إلا أنها غير معلولة الوجود .. في نهايــة الأمر اعترف كل منــا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء .. ولكنه اعترف بعــدي بخطوة واحدة

وأدخل عناصر غيبية لا لزوم لها لحل المشكلة » ..
إلى أن قال: «وتعرفون أن العالم ملزم على تعليق الحكم عندما لا تتوافر لديه الأدلة والشواهد والبراهين الكافية لإثبات أو لنفي قضية ما »...

كتاب نقد الفكر الديني ص ٢٩

* * *

أينا إذن يلقي الكلام إلقاءً بدون الأدلة والبراهين ؟.. إنك أيها المدعي تكذب نفسك .. وتحكم عليها بالخطأ والانحراف .. إذا كنت تؤمن بما تقول من ضرورة تقديم الأدلة والبراهين لإثبات أو لنفي قضية ما .. فلماذا قدمت في سطورك السابقة لهذا الكلام دعواك بعدم وجود الله فعرضت علينا قول نيتشه .. أن الله قد مات .. بدون أي دليل أو مجرد تعليق ؟...

أليست هذه قضية ؟.. ألست تقول بأن كل قضية يظل الحكم فيها معلقا حتى تثبت الأدلة والبراهين ؟.. فما هي الأدلة والبراهين ؟. أهذا من متطلبات الأمانة الفكرية في البحث الجاد عن المعرفة والحقيقة ؟.. وإذا كنت تكذب نفسك بنفسك .. وتناقض كلامك بكلامك ؟.. فهل أنت في حاجة إلى إثبات ذلك ؟.. ألم تعلم أن الاعتراف سيد الأدلة ؟...

ثم لماذا تسوق كلامك مبنيا على افتراضات لا أساس لها .؟ ولماذا تدخل الله في قياس واحد مع المادة الأولى التي تزعمها ؟.. هل ادعينا أن الله تعالى مادة حتى يجوز عليه ما يجوز على المادة الأولى ؟... إن المادة من صفات المخلوقات .. ولو كان الله مادة لكان مماثلا لمخلوقاته .. ولو كان مماثلا لمخلوقاته لصح لك حينئذ أن تجري القياس .. لكنه تعالى مخالف للحوادث في كل شيء .. وإلا لو شابههم وماثلهم لما جاز أن يكون إلـها .. لأنه

حينئذ يكون ناقصا .. والنقص على الله محال ...

هناك قضية منطقية تقول .. كل موجود لا بد له من موجد .. وهذا أمر لا شك فيه .. فترى بعض الجهال يقول : أليس الله موجودا ؟.. فنقول بدورنا .. نعم .. فيقول : إذن لا بد لله من موجد .. لأنكم تقولون بأن كل موجود لا بد له من موجد .. وهذا بالطبع هو عين الجهل الذي يقع فيه الكثير من ضعاف العقول .. وذلك لأن الله فوق الوجود .. ولا يجوز عليه ما يجوز علينا .. لأنه غير مماثل لنا في أي شكل أو وضع وإلا لما كان إلـها ...

إن كثيرا من الموجودات لا يجوز عليها ما يجوز على غيرها لاختلاف النوعية والكيفية فكيف يجوز إذن على الله ما يجوز علينا ..؟ لو أن المؤلف ومن على شاكلته فطنوا الى ما يجب أن يتوافر في الإله وما يتصف به لما وقع أحدهم فيما وقعوا فيه من ريب واهتزاز .. وكفر والحاد ...

وأعتقد أن المؤلف لو نظر بعقله مجرداً عن العاطفة التي استولت عليه لرجع الى الصواب بعد ان تبين لديه فساد قياساته المنطقية ...

ولعله يلمس بوضوح أنني لم ألجأ في كلامي إلى عبارات رنانة .. وكذلك لم أقدم له استدلالات من القرآن أو السنة ...

وقبل أن نترك هذا الموضوع أوجه النظر إلى أن من الخطأ أن يفتي الإنسان بدون علم .. ويحسن بالمرء العاقل أن يرجع في الأمور لأصحابها يستلهمهم الرشاد .. ويستوحيهم السداد .. إذ لو أن صاحب نقد الفكر الديني سأل أصحاب العلم وأهل التخصص لأجابوه بأن القوة الإلهية الأزلية لازمة الوجود وإلا لتوقف الشيء على نفسه وجاء الدور والتسلسل وكلاهما

محال ... ومن المستحسن أن نُنَوِّه إلى بعض مـــا يتطلبه جلال الرب .. فالله تعـالى .. ليس له صورة أو قالب .. منزه عن الكيف والكم .. وعن لماذا ولِم .. وأنه لا يشبهه شيء .. وكل ما يخطر في الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثل فإنه منزه عنه .. لأن تلك من صفـــات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها .. وأنه تعالى ليس له مكان قبل خلقه العالم وبعده .. وأنه متصف بالصفة التي كان عليها في الأزل ... وما أحسن قول الإمام عليّ « رضي الله عنه » :

كيفية المرء ليس المرء يدركها	فكيف كيفية الجبار بالقِدمِ
هو الذي أنشأ الأشياء مُبتدِعا	فكيف يدركه مستحدث النسم

إن المتصفح لكلام نقد الفكر الديني يلمس بوضوح، المغالطة الظاهرة التي صاغها المؤلف حين قال : « ومن جهة أخرى عندما تسألني وما علة وجود المادة الأولى فإن أقصى ما أستطيـع الإجابة به ، لا أعرف.. إلا أنهـــا غير معلولة الوجود » ...

ونحن نسلم إليه بعدم عرفانه .. إلا أنه ادعى قبل هذه العبارة أننـــا اعترفنا له سلفاً بأن المادة الأولى قديمة وغير مستحدثة وهذا افتراء علينا .. وما كان من حقه أن يتولى الإجابة عنا .. إذ أننـــا لا نقول بوجود الله من العدم .. بل إننا نعتقد أن الله لا أول لوجوده .. كما أنه لا آخر لأبديته ...

ومن هنا يبدو تأرجح المدعي في أقواله .. واهتزاز آرائه .. وخروجه عن المقاييس المنطقية .. وانحرافه عن آداب البحث والمناظرة ...

بقي أن نقول لمن لم يعرف الحقيقة .. أن الله الذي نؤمن بـــه لا يصوره وهم وخيال .. ولا يحصره حد ومثال ..ذو العز الدائم السرمدي .. والملك

القائم الديومي .. نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع .. إذا نظر إليـــه ذاتياً بصر عاد كليلا .. ولو تطاول نحوه عقل رجع كئيباً ...

ولو أردنا إثبات ضرورة وجودالله لنفدت الأوراق..وضاعالوقت. إذ أن كلما فيالوجود دليل علىالوجودالإلهي .وأصبح ذلكمن البدهيات..فالسموات والأرض آيات بينات .. وشواهد دالات .. كل يؤدي عنه الحجة .. ويقر له بالربوبيـــة .. وإذا شئت فسل الأرض من غرس أشجارك .. وشق أنهارك .. وجنى ثمرك ؟.. فإن لم تجبك إخباراً .. أجابتك اعتباراً ...

من أجل ذلك نرى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام يوصي بأن يقف يقف المرء عند حدود معينة لا يتجاوزها .. وحواجز لا يتخطاها « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته » ... وذلك صيانة من الزلل .. ووقاية من كل انحراف ...

وإذا كان الإنسان عاجزاً - كما قدمنا – عن معرفـة عديد الأسرار في المخلوقات البسيطة فكيف به يحاول الوصول لمعرفة سر الأسرار ؟... فالمرء لا يستطيع تفسير الكثير من الأمور .. وسأضرب لذلك مثلاً يقرب المسألة لنا .. إن المرآة تعكس الصور التي تواجهها ثم يزول الانعكاس بزوال الصورة المواجهة .. لكننا نجد العقل يحتفظ ويختزن أكثر الأمور التي انعكست عليه بعد مفارقتها .. فمن الذي أودعه هذهالقدرة؟.. إن قيل أنها الطبيعة .. قلنا انالطبيعةمجموعة من الجمادات..والجمادات لا عقل لها..فكيف تعطي شيئاً ليس فيها ؟.. ونحن نعلم جيداً أن فاقد الشيء لا يعطيه ... وبهذا نكون قد اقمنا الأدلة المنطقية على سقوط ادعاءات ناقد الفكر الديني سلفاً .. وأثبتنا وجود الله تبارك وتعالى ...

« قـُلِ اللهُمَّ مَـــالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ من تَشاءُ وتَنْزِعُ

المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وتُعِزُّ من تَشاءُ وتُذِلُّ من تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قَدير ..

تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وتُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ وتُخْرِجُ الحَيَّ من الميِّتِ وتُخْرِجُ الميِّتَ من الحَيِّ وتَرْزُقُ من تَشاءُ بِغَيْرِ حِساب » ...

سورة آل عمران

عواصف الشكوك

التساؤل الساذج

إن من الواجب على الناقد أن يكون فاحصاً مدققاً بصيراً بالأمور التي يتناولها بالنقد والتحليل .. يتحرى الإجابة على سؤاله ثم يأخذ بها إن راقته واقتنع منها .. أو يعترض عليها إذا تنافت مع العقل والمنطق وذلك بتفنيدها واظهار ضعفها وإبراز نواحي الخلل فيها ...

لكننا نرى مؤلف نقد الفكر الديني يخرج عن هذا المألوف ويتخذ له سلوكاً شاذاً .. وذلك بإلقاء سؤاله مع افتراضه عدم وجود جواب عليه .. ثم يبني كلامه مستمراً في هذا الوضع الموهوم .. ليصل إلى غرضه المقصود .. وهدفه المأمول .. متصوراً في نفسه الذكاء والنباهة .. وفي غيره الغباء والبلادة .. ومثال ذلك ما يلي :

« بعد أن عالجنا بشيء من التفصيل مشكلة الثقافة العلمية والاعتقاد الديني على مستوى النزاع بين الدين والعلم ننتقل الآن الى معالجة الموضوع على صعيد ما سميناه بالمشكلة الخاصة . والسؤال الذي يدور بحثنا حوله يتلخص بما يلي : كيف يكون موقف الإنسان الذي تعرض للثقافة العلمية وتأثر بها تأثراً جذرياً من المعتقدات الدينية التقليدية والمؤسسات

التي تتجسد فيها ؟. أيستطيع هـذا الانسان أن يستمر في الاعتقاد بآدم وحواء وبالجحيم والنعيم . وبأن موسى شق البحر الأحمر وحول عصاه حيـة تسعى» ؟... الى أن قال :«ولا يخفى عليكم أن هذا الانفصام ظاهرة خطيرة جـداً لأنهـا اذا تفاقمت وتضخمت في الانسان فإنها تؤدي الى نوع من الشلل الفكري والعلمي يمنعه من أن يكون إنسانا منتجاً وفعالاً..هذا اذا لم تؤد مثل هذه الحالة من التفكك في التفكير والعزلة المصطنعة بين المعلومات والافكار إلى قتل نمو التفكير العلمي الموضوعي المنظم عند الطالب»..

كتاب نقد الفكر الديني ص ٣١

* * *

وقبل الشروع في الإجابة أرى لزاما علي أن أوضح للقارىء الطريقة الخاطئة الجانحة في العبارة السابقة التي قال في مطلعها :« بعد أن عالجنا بشيء من التفصيل مشكلة الثقافة العلمية والاعتقاد الديني على مستوى النزاع بين الدين والعلم».. وهذه مقدمة مختلقة غير مسلم بها .. اذ أننا أقمنا الدليل على التوافق بين الدين والعلم وأنه لا تعارض بينهما – كما تقدم – في الوقت الذي لم يقدم لنا الناقد دليلاً واحداً على التعارض القائم بين الدين والعلم ... وعلى هذا فإن ما يستنتجه من نتائج يكون مردوداً لفساد المقدمة .. وبالتـالي يصبح ادعاءه ساقطاً كما هو الشأن في مسائله السالفة ...

ثم ان كلام المؤلف ليس نظرياً حيث أنـه لم يرتفع الى درجـة اليقين والإثبات ... ولم يوصف الا أنه مجرد تساؤلات.. وهذه التساؤلات الحائرة تخطر على بال كل انسان يجهل الحقيقة .. ولا عجب أن تتفق استفساراته مع استفسارات الاطفال .. فالاطفال يسألون كثيراً عن هذه الأمور .. الا

أن موقف الأطفال يختلف عن موقف ناقد الفكر الديني .. لأنهم يطلبون إجابة ورداً .. أما هو فقد جعل ذلك فلسفة وحكمة .. ومع اختلافهم يظهر اجتماعهم في شيء واحد .. هو عدم المعرفة ... ورغم سقوط الادعاء سلفاً أتولى الرد .. كشفاً لما خفي عنه وغاب ...

آدم وحواء .. والجحيم والنعيم

إن قصة آدم وحواء .. والجحيم والنعيم .. أمور سمعية .. بمعنى أن العقل وحده لا يستطيع التوصل إليها .. فهي لم تكن مبنية على دليل أو قائمة على برهان إلا بقدر ما يجب علينا من الإيمان به كالكتاب والسنة اللذين نلمس فيهما الصدق بعد أن ثبتت لدينا الحجج القاطعة على صحتهما ..

ولا غرابة في ذلك فنحن نعجز كل العجز عن معرفة الكثير من عالمنا الذي نعيش فيه .. بل حتى عن أكثر الأشياء التصاقا بنا .. وكما أوضحت سابقا من عجزنا عن كشف حقيقة أنفسنا ..

من أجل ذلك نرى في الدين أمورا يتوصل العقل إلى أسرارها .. وأمورا تغيب عنا معرفة الحكمة في تشريعها مع وجوب الاعتقاد بها لتتجلى طاعة العبد لربه .. وخضوعه لخالقه .. وإذا ترتب على ذلك دهشة فإنها تنقشع حين نؤمن بأننا مسؤولون أمام الله .. وأنه غير مسؤول أمامنا .. وسأضرب مثلا على ذلك :

نهانا الشارع الحكيم عن تناول الخمر وحذرنا من تعاطيها .. ونحن نعلم السر في التحريم .. لما فيها من حجب العقول .. وضياع الأفئدة .. وجعل الانسان في حالة بهيمية لا يعرف معها الضار من النافع .. ولما فيها من فساد للصحة وتبديد للأموال ومنافاة للكمال الإنساني ...

وأمرنا الشارع الحكيم أيضا بإقامة الصلاة.. ونحن نعلم مـــا يترتب على أدائها من الفوائد المادية والمعنوية .. إذ أن الصلاة تحتاج إلى وضوء وطهارة وما الوضوء إلا نظافة وتنشيط .. وإزالة للأوساخ التي ترين على المرء أثناء ممارسته لأعماله اليومية .. وفي الصلاة رياضة بدنية وروحية .. إلا أننـــا نجهل الحكمة في جعلها خمسا فقط .. ولماذا كانت على هذه الهيئة دون غيرها.. وكثير من الأمور المفروضة بالحج حجبت عنا معرفة الحكمة في الإتيان بها .. وكذلك القرآن الكريم نعرف الكثير من منطوقه ومفهومه إلا أننـا نجد آيات وكلمات لا نعرف معناها مع الإيمان بوجود معنى لهـــا كما ورد في المعجمات كقوله تعالى :

« حم .. الر .. طسم .. ق .. ن .. الم .. كهيعص » ... ألسنا عبيدا لله ؟...

وإذا تصدى الناقـــد معترضا .. كيف يأتي الإنسان بأمور لا يعرف السر فيها ؟.. أقول : نظرة واحدة منك تكفي إذا نظرت إلى ضابط أصدر أوامره لجنوده بالتحرك إلى منطقة معينة .. فإنك تراهم في الحال يخضعون للأمر ويصدعون للتوجيه ويأخذون في التنفيذ السريع دون مناقشة أو بحث عن السبب .. وهذا الأمر وغيره نراه ملموسا في حياتنا ويتكرر يوميا أمامنا بين الرؤساء والمرءوسين .. فإذا كان هذا الخضوع التام من إنسان لإنسان مثله أمرا عاديا مألوفا .. فكيف نستبعده بين العبد المؤمن وبين ربه ؟... عندما تتصور هذا الموقف ينقشع عنك عجبك إذا قلنا بأن في الدين أمورا سمعية .. وجعلها الله كذلك لينضح الإيمان .. وينصهر اليقـــين .. ويتبين العاصي من المطيع .. ويتميز المتمرد والمستسلم..فالطاعة تنبثق من التسليم.. والعبادة تنبع من اليقين المنقاد ...

ويتمثل ذلك بوضوح في قول عمر رضي الله عنه عندما أقبل على الحجر الأسود

قبّله وقال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع . ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبّلتُك ...

لا تكن قرداً أيها الانسان

يا لمأساة الحياة إذا اختلت العقول وانحرفت الأفكار وتاهت الخواطر في بيداء الضلال وغياهب الجهل وتخبطت في ظلمات الباطل .. تصطدم فتهوي إلى أعماق سحيقة وتنحط إلى مهاوي النسيان والضياع !..

يا للعجب .. خبران وصلا إلينا : خبر من المولى عز وجل يحدثنا عن قصة آدم في كثير من الآيات القرآنية وتواترتها الأديان .. فتناولناها بالإيمان والتصديق لنصل إلى أصلنا الذي به نرتبط . وإليه ننتسب ونجتمع .. فأصبحنا بذلك آدميين إنسانيين نسمو إلى العلا ونرتقي عن الكائنات .. لأننا في أحسن تقويم وأبدع صورة كما أراد لنا الخالق العظيم الذي فضلنا عن سائر المخلوقات .. نتسامى خَلقا وخُلقا ونقود عجلة الحياة ..

وخبر آخر بشري لا يستند إلى دليل ولا يعتمد على برهان .. يدعي أن الإنسان منحدر من سلالة القرود ثم تطور وارتقى إلى ما هو عليه الآن .. فصدقه البعض وآمن به وربط نفسه بهذا النوع الحيواني واعتبر أنه من هذا الأصل .. ونحن نصرخ في وجوه هؤلاء القردة الذين انسلخوا من آدميتهم وانخرطوا في صفوفهم وانتسبوا إليهم .. قائلين لهم : اذهبوا إلى أشجاركم بين الغابات والصخور .. فالأدلة الإلهية السماوية لا تتناسب معكم .. وعيشوا بين إخوانكم .. فأبونا آدم .. وأمنا حواء .. وأبوكم قرد .. وأمكم قردة...

ويا من تنادون وتفاخرون بقرديتكم لماذا أصبحتم على صورتنا .. وتركتم

بقية إخوانكم وعشيرتكم على قرديتهم ؟.. أليست هذه أنانية منكم ؟.. وإن كنتم كذلك فهل يجوز التخاطب معكم ...

دفعنا لهذا الكلام قول المتمسكين بنظرية « داروين » وتعصبهم لها رغم عدم ثبوتها وضعف استدلالها .. وإنكارهم للأخبار الإلهية الصادقة على ألسنة الأنبياء والمرسلين وتواترهم في هذا الموضوع .. يكذبون الله .. ويصدقون الأباطيل وهذا هو الضلال المبين ...

إن قصة آدم وحواء من الأمور السمعية.. والسمعيات هي ما وصل إلينا من الله تعالى وأحاديث نبيه الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام .. ومعنى هذا أن العقل ليس له مجال فيها ويتحتم عليه الإيمـــان بها .. وهذا من باب الإيمان بالغيب .. والإيمان بالغيب أسمى مراتب الإيمان .. وما الإيمـــان إلا غاية الغايات .. وأرقى الأهداف التي ينشدها الإنسان في الحياة ..

نرى مؤلف نقد الفكر الديني يحمل بشدة على الإيديلوجية الغيبية ويعيب على أهل الأديان في معتقداتهم .. وهو على غير صواب في ذلك .. لأننا لم نؤمن بالغيبيات عفواً .. ولكن بعد أن لمسنا الصدق المطلق في كل ما ورد على النبي ﷺ .. ولم نقف مرة واحدة على كذب فيه أو اختلاق ... إذن فكل ما يأتي ويخبر به سواء شاهدناه أو لم تحصل لنا المشاهدة فإننا نؤمن به أعمق الإيمان ...

لو أن لك صديقاً تربى معك وألفت فيه منذ نشأتكما وطوال عمركمـــا الصدق والأمانة ثم أخبرك بخبر سواء وقفت عليه أم لم تقف على حقيقته فلا يسعك إلا أن تأخذ بقوله وتؤمن بخبره وتصدق بما ألقاه عليك .. فإذا كان هذا بالنسبة للصديق الذي يجوز عليه الكذب .. فمـــا بالك بالنبي المعصوم المختار الذي يستحيل الكذب عليه ؟...

وعلى هذا تبقى دعوانا بقصة آدم وحواء قائمة .. حتى يقوم دليل على نقضها .. فهل عندك من دليل ؟...

القلق والحيرة

يقف مؤلف نقد الفكر الديني حائراً متسائلاً :

(كيف يكون موقف الإنسان الذي تعرض للثقافة العلمية وتأثر بها تأثيراً جذرياً من المعتقدات الدينية التقليدية والمؤسسات التي تتجسد فيها ؟.. أيستطيع هذا الإنسان أن يستمر في الاعتقاد بآدم وحواء ، وبالجحيم والنعيم ، وبأن موسى شق البحر الأحمر وقلب عصاه حية تسعى ؟. كيف يكون موقف الإنسان الذي نشأ نشأة دينية وتقبلها جملة وتفصيلا من النظرة العلمية الطبيعية للحياة والكون والإنسان ؟..

من العسير أن تجد بيننا شخصاً يتمتع بشيء من الحس المرهف وبقسط ولو متواضع من الذكاء والثقافة العلمية لم يعان التوتر الذي تنطوي عليه هذه الأسئلة والقلق الذي تثيره في إحدى مراحل حياته ونموه)...

نقد الفكر الديني ص ٢٩

* * *

ونحن نرى أن منشأ هذه الحيرة هو عدم الوقوف على أسرار الشيء وذلك

بسبب الجهل بالنسبة لهذا الشيء .. وليس هذا غريباً بل هو شأن كل إنسان يرى أمراً من الأسور التي يجهلها ولا يعلم نواحي الغموض فيها .. ومثال ذلك لو وقف شخص أمام جهاز « للراديو » وأخذ يتأمله فلم يجد به إلا مجموعة من الأسلاك الدقيقة .. فيسولي عليه العجب وتأخذه الحيرة ويتملكه التساؤل .. ما السر في هذا الجهاز ؟. وكيف يستطيع استقبال الأصوات البعيدة ؟. لا شك أنه أمر يبعث على الدهشة .. ويثير الأسئلة والاستفسارات .. لكنه إذا استعان بخبير متخصص في هذا المجال لأوضح له بسهولة أسرار الجهاز وما يكتنفه من غموض والغاز ... فكل إنسان منا يفهم عمله ويجهل عمل غيره.. فالفيلسوف المتعمق لا يستطيع إصلاح ساعة توقفت عن العمل .. والساعاتي لا يفهم أغوار الفلسفة .. فلا عجب اذن أن نرى مؤلف نقد الفكر الديني تشمله الحيرة ويعجز أمام طلابه عندما سألوه : كيف شق موسى البحر الأحمر .. وكيف قلب عصاه حية تسعى ؟.. هذا أمر طبيعي .. ومن الواجب على المرء الذي يتحرى الحقائق أن يرجع في ذلك لأهل الاختصاص الذين يفهمون سره وما يحيط به .. الا أن الناقد يشذ عن هذه القاعدة المألوفة .. بل انه يسأل نفسه،فإذا عجز عن التعليل والفهم أخذ في توجيه اللوم والنقد وعدم الصلاحية ... وهكذا نراه يجسم الأمر – مع سهولته – ويثير فيخواطر الطلاب الحيرة والاهتزاز ويظهر أمامهم المسائل الدينية بمظهر الخرافات والأساطير والتعقيد والتخلف .. لماذا ؟.. لأنه عجز أن يعلل لهم ما سألوه عنه من كيفية شق البحر الأحمر وقلب العصا حية تسعى ...

وأرى أن من الواجب علي أن أنقذ الناقد المفكر من قلقه واضطرابه وضياعه أمام هذه التساؤلات .. وليقف طلابه معه على السر الذي خفي على عقولهم .. ولن أقتصر في الرد على ما تساءلوا عنه فحسب .. بل سيحوي الرد ما جرى على يد موسى وغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.. إن ماظهر علىيد موسى وغيره منالرسل فهو منقبيل المعجزات..

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على أيدي الأنبياء والمرسلين تصديقاً لهم ومنعاً للشك فيهم ودعوة للناس باتباعهم .. حيث أنهم أتوا بأمور غريبة يستعصي ظهورها على الخلق جميعاً لأنها فوق طاقة البشر .. وفوق العلوم .. وفوق العقول .. وفوق المألوف .. ليستدل من خلالها على قدرة الله الذي أرسلهم واختياره صاحب المعجزة رسولاً ونبياً لقومه وبني جنسه ..

ان المعجزة لا يمكن تعليلها ولا الوقوف على سرها لأنهـــا لم تكن أمراً عادياً ويمكن الإتيان بمثلها .. فلا يجوز لرجل ادعى النبوة أن يقول لقومــه سأقدم لكم دليلا على صدق نبوتي ثم يأتيهم بأمر مـــألوف يستطيع بعضهم تحقيقه وتقليده .. ولكن عندما يأتيهم بالرسالة ويقدم لهم أمراً خارقـــاً لعادتهم خارجاً على مألوفهم متحدياً إياهم أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا ثم يظهر عجزهم فإنهم عندئذ يؤمنون بـــأن هناك قوة أكبر وأعظم من قوة البشر فيصدقون النبي ويؤمنون به ويتبعونه لأنه قدم لهم الدليل الناطق على صدق دعواه ...

فلا عجب اذن أن يلقى بابراهيم عليه السلام في النار المتوقدة الملتهبة ثم يخرج منها سليماً لم يمسه الأذى .. بعد أن أحرقت النار والتهمت كل مـــا حوله .. وكذلك عندما نسمع أن موسى عليه السلام قلب عصاه حية تسعى تبتلع كل ما فعله السحرة .. أو أنه شق البحر فأصبح له طريقاً يابساً مذللا حتى نجا من فرعون وجيشه ..

وكذلك عندما نعلم أن المسيح عليه السلام أبرأ الأكمه والأبرص وأحيـــا الموتى بإذن الله وأخبر الناس بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم ..

وكذلك عندما نرى محمداً عليه السلام انشق له القمر ونزل عليـه القرآن الكريم بما فيه من تشريعات وأحكام وقوانين ونظريات وإخبار بالمغيبيات وهو

الأمي الذي لم يتلق تعاليمه في مدرسة أو جامعة .. وليبقى هذا الكتاب بما فيه دستوراً للحياة مهما امتدت الأزمان وتعاقبت القرون .. وليظل معجزة خالدة شامخة باسقة .. فيها ثبات ويقين .. للمؤمنين الصادقـــين .. ولطمات وصفعات على وجوه الملحدين المنكرين ...

من هذا يتبين لنا بأن تساؤل الطلاب لأستاذهم الذي عجز بـــدوره عن إقناعهم في غير محله .. وذلك بسبب عدم تعمقه في هــذا النوع من الدراسة الدينية التي تتطلب كفاءة وعمقاً وحذقاً في هذا المجـــال .. أو الرجوع إلى أساتذة الدين يتلمس منهم المعرفة .. لكنه لم يتعمق .. ولكنــه كذلك لم يلجأ إلى المختصين مستوحياً منهم الهداية والرشاد والإجابة السليمة ...

أما كيف نصدق وقوع هذه الخوارق والمعجزات ؟. فـــالأمر سهل .. حيث أن المناوئين للأنبياء .. والكافرين بهم .. والمعاندين لهم .. والمعتدين عليهم .. والحاقدين على رسالتهم .. قد سلموا وأسلموا .. وأذعنوا وآمنوا .. وصدقوا وأطاعوا بعد أن رأوا بأعينهم الأدلة المادية المحسوسة التي لاينكرها إلا الجاحدون .. ولا يخالفها إلا الجهال الضالون .. وهم الذين حرصوا بادىء الأمر على تفنيدهم وتكذيبهم وإيذائهم والوقوف في سبيلهم .. فصاروا عقب ذلك من أتباعهم المخلصين .. ولم يكن الأمر سهلاً بل وقع بعد أن تبين لهم أنه الحق الواضح ... والفضل ما شهدت به الأعداء ...

الجن والملائكة

خلق الله الكون فأبدعه .. وجعله صورة متكاملة متنـاسقة .. تنطق بالجلال والجمال والكمال .. لتصعد العقول والأفكار على متونـه لتتوصل إلى عظمة الخالق البارىء المصور .. ولتعـلم سعة الوجود الزاخر بآيات القـدرة

ودلائل القوة وحكمة الإدارة الإلهية الباهرة .. ولتستمد من رحابه الواسعة وآفاقه المديدة .. إيماناً بمدبر الكائنات .. ويقيناً برازق المخلوقات .. ذي الملك والملكوت .. وصاحب السلطان والجبروت .. الذي خلق فأبدع .. وصنع فأتقن .. وأنشأ فأحسن ... ولله في خلقه شؤون .. جعل منهـــا الصغير والكبير .. والقوي والضعيف .. والقائم على رجليــه .. والزاحف على بطنه .. والماشي على أربـع .. والطائر بأجنحة .. منها ما يعيش على الأرض .. ومنها ما يعيش في الماء .. ومنها ما يعيش في الصخور .. ومنها ما يعيش في العمران .. ومنها ما يعيش في الخراب ...

وهذه المخلوقات على اختلاف أنواعها .. وتباين أجناسها .. نعلم البعض ونقف على حقائقه لنزداد إيماناً ويقيناً وثباتاً ... والبعض الآخر لا نراه ولا نلمسه وتخفى علينا أسراره ويغيب عنا وجوده .. فنقف متضائلين صاغرين أمام عظمة هذا العالم الواسع الشامل الرحيب ...

فمن المخلوقات إذن ما هو منظور ومحسوس يقـــع تحت حواسنا ونراه بأعيننا.. ومنها كذلك ماهو خفي لا تدركه أبصارنا ولا تتناوله حواسنا.. إذ أن معرفتنا قاصرة محدودة عاجزة عن معرفة كل الموجودات ...

هذه هي الحقيقة التي يعترف بها الأنسان الذي حصل على قسط من العلم كلما تكشف أمراً وجد غيره وغيره خاف عليه وهكذا الى ما لا نهاية ...

إلا أن بعض البشر لا يعترفون بهذه الحقيقة ولا يسلمون بهـــا لادعائهم المعرفة بكل شيء .. وزعمهم الإحاطة بكل ما في الوجود .. وهذا اعتقاد خاطىء يمليه الغرور على صاحبه المفتون .. إذ أن ادعاء العلم الكامل للانسان هو في الحقيقة الجهل بعينه ...

ومن العجيب أن نرى مؤلف نقد الفكر الديني يطالعنا بالعبارة التالية :

« هل يفترض في المسلم في هذا العصر أن يعتقد وجود كائنات مثل الجن والملائكة وإبليس ، وهاروت وماروت ، ويأجوج ومأجوج ، وجوداً حقيقياً غير مرئي باعتبارها مذكورة كلها في القرآن. أم يحق له أن يعتبرها كائنات أسطورية مثل آلهة اليونان وعروس البحر والعنقاء ؟ يا حبذا لو عالج الموفقون بين الإسلام والعلم مثل هذه القضايا المحددة وأعطونا رأيهم فيها بصراحة ووضوح . بدلاً من الخطابة حول الانسجام الكامل بين العلم والإسلام ».

نقد الفكر الديني ص ٣٧

* * *

نرى قائل هذه العبارة يدعي العلم . وخفي عليه أن موقفه ليس موقف المتسائل أمام أمور تخفى عليه .. والتساؤل في حد ذاته ليس معيباً إذا كان الغرض من ورائه الوقوف على الحقيقة والتسليم لها والايمان بها .. وليته يفعل ذلك .. عندئذ لا يوجه إليه لوم .. لكنه جعل تساؤله هو عين المعرفة .. وهذا تناقض ظاهر لا يغفل عنه القارىء اللبيب ... جميل منه حقاً أنه قال : يا حبذا لو عالج الموفقون بين الاسلام والعلم مثل هذه القضايا المحددة وأعطونا رأيهم فيها بوضوح وصراحة بدلاً من الخطابة حول الانسجام الكامل بين العلم والاسلام ..

ونحن نرحب بهذا المطلب ونبدي الرأي بصراحة ووضوح كما أراد متباعدين عن الاسلوب الخطابي الذي يزعجه ...

وأقول رداً على هذا السؤال : إن عدم وجداننا للشيء لا يكون دليلا

على عدم وجود ذلك الشيء ، بل هو دليل فقط على عدم توصلنـــا اليه .. ومثال ذلك : لو أن أحد الرحالة ذهب الى غابة من الغابات ثم عاد الينـا وأخبرنا عن حيوان موجود بها .. وفي الوقت ذاته لم تتوفر لدينا رؤية هذا الحيوان المخبر عنه .. فهل معنى ذلك أن هـــذا الحيوان غير موجود ؟.. بالطبع سيكون الجواب لا ... أما اذا توافرت لنا الظروف التي تسمح لنا برؤيته فإننا عندئذ لا نستطيع انكار وجوده ...

ومثال آخر بعيد كل البعد عن المظاهر الخطابيـــة .. ومجرد كذلك من العاطفة أو التعصب ... منذ مئات السنين لو وصل الى علم الناس الموجودين على الارض بأن على أرضنا التي نعيش فوقها أمة كبيرة بها عدد هائـــل من البشر اسمها أمريكا .. بالطبع فإن الجميع يكذبون هذا الخبر منكرين وجود أمريكا ..

فهل هذا الانكار كان في محله ؟..وهل كان عدم رؤيتهم لأمريكا دليلاً على عدم وجودها ؟...

وعندما تم اكتشاف أمريكا آمن المنكرون بوجودها بعد إنكارهم .. ان العلم يفاجئنا كل يوم بالعثور على موجودات كانت خافية علينا وكنا منكرين لوجودها .. فهل معنى انكارنا .. عدم وجود هذه الاشياء ؟...

كذلك الملائكة والجن .. اذا كان الناقد لا يؤمن بوجودهما لانه لم تحصل له رؤيتهما المادية فليس هذا دليلاً على عدم وجودهما بل هو دليل على عـــدم وجدانه ورؤيته لهما فقط .. وربما كان السبب في عدم التمكن من رؤيتهما هو قصور الطاقة البشرية وعجز القدرة عن تحقيق هذه الرؤية وعدم توافر الامكانات التي تتطلبها..اذ ان رؤية الملائكة تتطلب نوعاً من الصفاء الروحي والسمو الوجداني وعمق الايمان الذي به ترفع الاستار وتزول الحجب فيرى

المرء حينئذ ما لا يراه غيره ممن لم توجد فيهم تلك المزايا التي توصل اليها وحصل عليها ...

في الماضي كانوا لا يستطيعون رؤية الهواء لشفافيته ولطافته ولعدم قدرتهم على ذلك .. فلما تقدم العلم واستطاع تكثيفه كان في الاستطاعة رؤية ما كان خافياً امام الاعين من قبل ..

ويؤكد لنا العلم الحديث بأن في الجو ملايين لا حصر لها من «الميكروبات» .. ونحن في الواقع لا نراها بأعيننا ولا ندركها بحواسنا .. فليس عدم رؤيتنا لها دليلاً على عدم وجودها ... وهناك عديد الأمثلة التي لا يتسع المقام لذكرها توضح لنا أن في عالمنا وبيننا موجودات كثيرة وإن كنا لا نتمكن من رؤيتها .. فهل يجوز في نظرك أيها الناقد ألا نؤمن بوجودها ؟...

وإذا كنا نؤمن بوجود هذه المخلوقات التي لم تتحقق لنا رؤيتها فلماذا إذن لا نؤمن بالملائكة والجن .. كغيرهما من الموجودات الأخرى غير المرئية ؟.. ألأن القرآن ذكرها وأخبرنا بوجودها ؟.. أم لأنها لم تأت إلا عن طريق الأديان ؟.. وإذا كنا نؤمن بوجود كائنات في عالمنا وعلى مقربة منا دون رؤيتها .. فلماذا نحاول رؤية الملائكة وهم من غير عالمنا ؟..

إن الملائكة والجن ليسوا من عالمنا .. وليسوا من جنسنا .. وليسوا على شاكلتنا .. فنحن لم ندع أنهم آدميون .. لأنهم ليسوا من هذا أو ذاك .. بل ان التعريف لها يقول : « الملائكة أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال حسنة مختلفة » وهم لا يأكلون ولا ينامون ولا يموتون ولا يتزوجون ولا يتناسلون ...

هذه طبيعتهم التي أخبرتنا عنها الأديان السماوية المتواترة المتوافقة .. أليس لكل مخلوق طبيعته الخاصة ؟..

أما الجن فهم أجسام نارية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة حسنة وقبيحة .. وتسألني بدورك أين هم ؟.. فأقول : انهم لا يعيشون في عـــالم الإنسان بل انهم بطبيعتهم لا يقيمون الا في الأماكن النـــائية البعيدة ... ولا تعجب من هذا وذاك .. فلكل كائن طبيعته الخاصة به .. فالخـنزير مثلاً لا يعيش في الأماكن النظيفة لأن طبيعته تتطلب الأوساخ والقاذورات.. وكذلك الذباب والحشرات تنفر من الأماكن المعقمة المطهرة التي يحبها الإنسان بدوره ويرتاح اليها بطبيعته .. وبالتالي نرى الأسماك لا تعيش الا في المـــاء فإذا أخرجتها الى اليابسة ماتت .. وغيرها من الحيوانات البرية على العكس من ذلك .. وما دمنا لا نستطيع انكار الطبائع للمخلوقات فلمــاذا نستبعد هذه الأمور بالنسبة للملائكة والجن اذا كانت طبيعتها لاتمكننا من رؤيتهم؟.

نعم .. يصبح الاعتراف بالملائكة والجن لدى المؤلف أسطورة كأساطير آلهة الجمال عند اليونان .. وعروس البحر والغول والعنقاء ... أمـــا اذا وصله هذا الخبر عن طريق اللوردات أو الرياضيين أو الفلاسفة أو الملحـدين لكان من المصدقين المؤمنين ...

القرآن وخلق الانسان

نرى مؤلف نقد الفكر الديني يزعم العلم والمعرفة في كل شيء حتى جعل من نفسه طبيباً ماهراً يتتبع بفنه اسرار الطب وما يشتمل عليه من مسائل وابحاث .. وذلك مع جهله التام فيهذا المجال الذي لا يصل اليه المرء الا بعد دراسة وتحصيل وتطبيق وممارسة ... في الوقت الذي نرى ونسمع من اكبر الاطباء علماً ومقدرة قولهم واعترافهم بوجود اسرار وغرائب في جسم الانسان لا يعرفون لها تعليلاً او تبريراً ويقفون امامها عاجزين .. نراه يتناول آيـة من القرآن .. ليس تمجيداً لها .. ولا اشارة بها .. بل اعتداء عليهـا ..

وتحطيماً لمدلولها .. ادعى بمعرفته الطبية وبراعته الباطنية ان قوله تعالى :

« ولقد خَلَقْنا الإنسانَ من سُلالةٍ من طين .. ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكين .. ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً .. فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فخلقنا المضْغَةَ عِظاماً فكسَوْنا العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أنشأناهُ خَلْقاً آخرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقين » ...

سورة المؤمنون

ينكر المؤلف تدخل الله بقدرته لرعاية الجنين في بطن أمه .. ويدعي أن ذلك كله من فعل الطبيعة .. ونكرر السؤال : ما هي الطبيعة ؟.. أليست هي الجمادات كالجبال والبحار وغيرها من الكونيات ؟.. هل عندها عقل يدير كل هذه الاشياء ؟.. واذا كنت تستبعدها من جانب الله فلماذا تراها جائزة في يد الطبيعة ؟.. وهل للطبيعة هذه القوة ؟.. وهل عندها قدرة الخلق والتكوين ؟... وإذا كان كذلك فلماذا نرى الامور لا تسير على نظام واحد ؟.. ان من المألوف والمعروف عندنا أن قلب الانسان في الجانب الايسر من الصدر .. فما بالنا ونحن نرى أن بعض الاشخاص وجد قلبه في الجانب الايمن ؟... ولماذا يخرج بعض المواليد اعمى لا يرى وليس هناك من الاسباب ما يؤدي لذلك ؟.. ولماذا احد الاخوة اسود والآخر ابيض رغم اتحاد عوامل الوراثة والمناخ ؟.. ولماذا نجد هذه المفارقات التي نلمسها كثيراً اذا لم تكن هي مشيئة الله ؟..

واي تناقض في الآية وقف عليه الناقد حتى وضعه امام الاعين والابصار؟..

هل ثبت في علم الطب ان الجنين في بطن امه لا يمر بهذه المراحل المختلفة؟.. واذا كنت تقول بأن الخلية تنمو وتتطور وفقاً لقوانين طبيعية معينة بحيث تنمو المرحلة المتأخرة من صلب المرحلة السابقة عليها وعلى اساس معطياتهـــ

الاولية .. فمن الذي جعل هذا التناسق وذاك الترتيب ؟.. وهل قال الدين غير ذلك ؟.. اللهم الا انه كان اسبق في الاخبار عن هذه الاسرار من تلك الاكتشافات والابحاث ... وكان من الواجب على الانسان الحصيف الحازم ان يزداد ايماناً بدلاً من ان يهوي إلى بؤرة الكفر والالحاد ...

ان الامانة والنزاهة الفكرية تقتضي الا يكون المرء متعصباً مدعياً العلم والمعرفة في كل الفنون.. ولكننا نرى الناقد هنا يلقي بالآية القرآنية الكريمة في معرض التجريح والتشويه من غير استدلال او استشهاد او اثبات ...

يقول المولى عز وجل: « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير » ..

هذه آية كريمة اظهرت لنا بعض الامور التي يختص بها الله تعالى دون سواه وهي حقيقة واقعة ملموسة لا نقاش فيها حتى من اشد الناس لجاجاً .. اذ ان الانسان لا يستطيع ان يتحكم في غده وان يؤكد ما سيحدث فيه من الاسرار او ما ينزل به من الاقدار .. فبينما يجد المرء نفسه سليماً رافلاً في حلل الصحة والعافية يرى نفسه وقد حاق به المرض فجأة بدون مقدمات ومن حيث لا يعلم .. ولن اعدد هنا التصرفات التي يحسبها صاحبها فتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ...

اما بالنسبة لموضوعنا الذي نتناوله الآن وهو اختصاص الله تعالى بالعلم بما تحمل به كل انثى ..فهذا امر واضح، اذ ان اكتشاف احوال الجنين ما زالت وستبقى خافية على الخلق جميعاً مهما تطورت اساليب العلم ومهما ارتقت اسبابه .. لان العلم الذي اختص به الله دون سواه ليس منحصراً في معرفة الجنين ان كان ذكراً او انثى وهو في بطن امه .. ولكن هناك ما هو ابعد

من ذلك واخفى..اذ انه تعالى يعلم سر الحمل منذ البداية، اي قبل ان يدخل في الرحم .. وهل في استطاعة الطب ان يحصل على ذلك ؟.. ان الرجل يقذف ملايين الحيوانات المنوية فهل يتمكن الطب ان يعرف ما هو الحيوان المنوي الذي سيقوم بدوره بالتلقيح مع الانثى التي تلقاه من المرأة ؟.. واذا كان الحمل وما يتبعه من الولادة متفق مع العلم والعقل .. فهل يتفق ذلك مع القواعد والمقاييس ؟.. بمعنى ان العلم يخبرنا بأن الجرم الكبير لا يمر من مكان ضيق لا يتناسب مع حجمه .. لكننا نرى ان حجم المولود اكبر بكثير من الممر الذي يمر به والذي يخرج منه ... ويقول البعض ان هذه الممرات مرنة ومطاطة .. وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي جعله بهذه الهيئة ؟... إن قلتم بأنها الطبيعة .. قلنا ليس للطبيعة .. إدراك أو عقل أو قدرة . .

ثم أين إثبات الأدلة التي تؤكد ان الله غير منظم لهذه المرحلة من النمو والتطور..وصاحب النقد يقول بان القضية تظل معلقة حتى تتوافر البراهين؟...

اننا لم نره يقدم لنا دليلاً واحداً على التعارض بين الآية الشريفة والطب.. وكان من الواجب عليه أن يبرز لنا نواحي الخلاف ومواطن التناقض بين الدين والعلم ... وإن من المؤكد أنه جد في البحث عن شيء يحارب به القرآن فلم يجد .. والا لقدمه في وجوهنا وأبرزه لنا ...

« يا أيُّها النَّاسُ ان كُنْتُمْ في رَيْبٍ من البَعْثِ فإنَّا خَلَقْناكُمْ من تُرابٍ ثُمَّ من نُطْفَةٍ ثُمَّ من عَلَقَةٍ ثُمَّ من مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وغيرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ونُقِرُّ في الأَرْحامِ ما نَشاءُ الى أجَلٍ مُسَمَّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أشُدَّكُمْ ومِنْكُمْ من يُتَوَفَّى ومِنْكُمْ من يُرَدُّ الى أرْذَلِ العُمْرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وتَرى الأرضَ هامِدَةً فإذا أنْزَلْنا عَلَيْها الماءَ اهْتَزَّتْ ورَبَتْ وأنْبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ ..

ذلِكَ بانَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وأنَّهُ يُحيي المَوْتى وأنَّهُ على كلِّ شَيءٍ قَديرٍ » . سورة الحج

الناقد الفكري والشيطان

مشكلة إبليس وما يدور حولها

أخذ مؤلف نقد الفكر الديني ينتقل من افتراء لافتراء .. ومن زعم لزعم آخر .. ولم يعط موضوعاً من المواضيع ما يحتاج إليه من أدلة وبراهين .. بل أخذ يمر عليها مراً سريعاً .. وكان الأمر يستوجب منه أن يتناول أحد المسائل ويركز عليها ويشرح فكرته وأدلته شرحاً وافياً ليثبت قضاياه التي ظلت مهملة معلقة لعدم البراهين التي تحتمها القضايا المنطقية وتفرضها آداب البحث والمناظرة ..

وقد بينا للقارىء فيما تقدم كيفية تحامل الناقد على الأديان بصورة هجومية تحوي مصادرة المطلوب .. ومدى إسرافه وتغاليه في عدم التقيد بالأدلة التي يفرضها العقل والمنطق .. حتى وضح أمامنا أن قضاياه التي اعتبرها كذلك لم تكن سوى أسئلة واستفهام .. ونحن لا نعيب ذلك على الإنسان حينما يردد استفساره عما يجهله من الأشياء . ولو أن مؤلف نقد الفكر الديني وقف عند هذا الحد طالباً الإجابة لما عاب عليه أحد .. إذ أن المأخوذ عليه ادعاؤه المعرفة وتعقيبه على المسائل بثقة العالم الدقيق الحصيف . . ولا يخفى علينا أننا جميعاً نقع كثيراً في حيرة وتساؤل أمام كل مجهول .. إلا أن موقفنا يختلف حين نتوجه بأسئلتنا طلباً للمعرفة وإزالة للإبهام وكشفاً للغموض ...

وانصافاً مني للحق واعترافاً بالصدق ، أجد من الواجب علي أن أشهد لمؤلف نقد الفكر الديني بالاتزان وجدية البحث في موضوع إبليس .. فلقد

أعطاه – فعلاً – أهمية .. وأحاطه بدراسة شاملة لا توصف بالنقص أو الضعف بل قدمه بصورةشبه منطقية ناقش فيها وجادل.. واجتهد وتقصى... ويكون أجمل من هذا وذاك أن يطرح التعصب جانباً ويأخذ بالصواب إذا ظهر ... ويرتقي بالعلم عن التحيز والانفعال ...

وقبل أن ندخل في الموضوع أحب أن أوضح بأن إبليس من الجن وكان في صفوف الملائكة وخالف أمر ربه وعصاه حتى صار شيطاناً لعينا ..

وقد يغيب عن الكثيرين معنى كلمة « شيطان » ...

الشيطان ماخوذ من شطُن بمعنى بَعُد .. يقال شطنت الدار أي بعدت..

وعلى هذا نرى إبليس شيطاناً لأنه بعد عن الحق وبالتالي عن رحمة الله .. وكلمة شيطان تطلق على كل متمرد من بني جنسه وخارج عن مألوفهم وجماعتهم .. فالحيوان الذي يأتي بحركات شاذة عن المألوف في غيره منجنسه يسمى شيطاناً .. ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه طلب حماراً ليركبه فقفز به قفزاً عالياً وجرى بسرعة غير عادية فأوقع عمر على الأرض .. وعندئذ قال عمر لمن حوله .. بئس ما حملتموني .. لقد حملتموني على شيطان ..

ويطلق كذلك على كل متمرد من بني الإنسان وكل خارج عن العادات والمألوف .. يقول الرسول العربي ﷺ : « شياطين الإنس شر من شياطين الجن ... فالإنسان الذي يأتي بأمور مسعورة أو حركات جنونية جبارة .. والنابي بفكره وعقله يسمى كذلك شيطاناً »...

لنخرج من هذا التعريف اللغوي الذي تناولته إيضاحاً لمن غاب عنهم التفسير .. ولندخل في الموضوع لنلقي عليه أضواءً لإزالة الشبه والشكوك.. إن مسألة إبليس والاعتقاد بها ليست من التفكير الخيالي الأسطوري الخرافي

كما عبر عنه ناقد الفكر الديني .. وإنما هي حقيقة واقعة صادقة .. فلقد قال الناقد ما يلي :

« ولا أريد أن أتكلم عنه (أي إبليس) باعتباره كائناً موجوداً وحقيقياً وإنما أريد شخصيته باعتبارها شخصية ميثولوجية أبدعتها ملكة الإنسان الخرافية وطورها وضخمها خياله الخصيب » ..

نقد الفكر الديني ص ٨٣

* * *

وهذا الكلام الذي ساقه المؤلف يتضمن مصادرة المطلوب .. فلقد غلب جانب اعتقاده بعد أن حصره فيما أراد .. وألغى جانبنا الذي لا نسلم بأن إبليس من نسج الخيال الخصيب أو أنه شخصية وهمية ..

المؤلف يقول قولاً .. ونحن نقول قولاً .. فلماذا إذن يثبت قوله ويلغي قولنا ؟.. إن هذا الموقف يتضمن التعصب والانحياز لجانب دون الآخر بلا مرجح.. وهذا ساقط عقلاً ومنطقاً.. شأنه في ذلك شأن ما قدم الافتراءات والادعاءات السابقة .. رغم علمه الراسخ بأن القضايا تبقى معلقة حتى تقوم الأدلة والبراهين .. وهكذا يجب أن يظل كلامه معلقاً بل لاغياً لثبات عكس ما يدعيه .. فلقد اعترف بعد ذلك مباشرة بقوله :

« عند التفكير بموضوع إبليس أجد نفسي واقفاً وجهاً لوجه أمام تراث ميثولوجي ديني عريق في قدمه وتاريخه » ...

نقد الفكر الديني ص ٨٤

فرغم وصمه للدين بالميثولوجية فإن فيه اعترافاً بالعراقة والقدم والثبوت.. وفي هذا الكلام من التناقض ما فيه .. إذ أنه لو قال: أمام تراث ميثولوجي عارض مستحدث غير ثابت لما وقع تعارض في تعبيره ... وكأنه أراد – من غير قصد – أن يريحنا من إظهار تعارضه وتناقضه مع نفسه ...

إن مسألة آدم وإبليس لم تقع في زماننا ولم تحدث أمام أعين البشر القدماء لأن أحداً منا لم يكن وُجد بعد .. فإذن كيف يكون الإثبات المادي على ذلك ؟. إن الأديان لم يدع أنبياؤها وجودهم في السماء حينذاك .. ولم يكن لديهم بالتالي أي دليل مادي يقدمونه للإثبات .. اللهم إلا ما جاد به الوحي المنزل عليهم .. فأخبروا أقوامهم بما نزل عليهم .. فصدقوهم فيما سمعوا بعد أن لمسوا وتأكدوا صدقهم وأمانتهم الوطيدة المتتابعة ... وجاءت أخبار إبليس متوافقة في جميع الديانات فدعمها التواتر هذه الدهور المتعاقبة .. وأصبح الأمر إجماعاً أكيداً راسخاً في قلوب المؤمنين .. إلى أن جاءت الموجات الإلحادية تبحث من جديد .. تنفث سمومها وتغرس أظافرها في صميم العقائد ...

وبإثباتنا – فيما تقدم – لقصة آدم وحواء .. نثبت بالتالي قصة إبليس.. فهي إذن من الأمور السمعية .. التي يجب الإيمان بها والاعتقاد في صحتها .. ولا تحتاج إلى دليل مادي ... ولا عجب من هذا إذ لا شك لدى مؤلف نقد الفكر الديني وغيره بوجود سقراط أو أفلاطون أو أرسطو في فترة معينة من الزمان.. ورغم اقتراب زمنهم من زمننا إذا قيس بزمن آدم .. فهل يستطيع الناقد ومن على شاكلته أن يثبتوا لنا وجود هؤلاء في تلك الفترة الزمنية وأن هذه الأقوال التي وردت عنهم هي من أقوالهم وذلك بدليل مادي كالذي يطالبوننا به ؟. من حقهم أن يقولوا جواباً على ذلك بأن الكتب أكبر شاهد وخير دليل .. أو هو التواتر الذي تناقلته العلماء جيلاً بعد جيل .. فإن قلنا بأن هذا الدليل لا نسلم به مدعين بأن شخصيات هؤلاء الفلاسفة وهمية لا

وجود لها وأن ما ورد عنهم إدخال عليهم .. فماذا تقولون إذن ؟. وما هو الدليل الآخر الذي تستطيعون تقديمه لإقناعنـــا بوجودهم وحقيقتهم ؟.. إذا كنتم تعتبرون كلام الكتب أو التاريخ دليلا صادقـا .. فنحن نعتبر كذلك كلام الكتب السماوية والتاريخ دليلا صادقا ...

أما أنكم ترجحون طرفا على طرف بدون ما يؤيده فهذا باطل مردود.. فما دمتم تكتفون بالإثبات لوجود هؤلاء الفلاسفة السابقين بمـا ورد عنهم في الكتب .. فكذلك نحن نكتفي بالإثبات لوجود إبليس بما ورد عنـــه في الكتب ... وبالتالي لا يبقى مجال من حيث المنطق والقيـــاس لدى هؤلاء الذين ينكرون قصة إبليس ...

وبعد أن قمنا بإسقاط الدعوى التي تصور إبليس بالخرافة والوهميـــة .. وإثبات وجوده وأنه واقعة صحيحة لا يتطرق الشك إليها من المؤمنين بها .. نتناول تحليل موقفه .. متضمنين في التحليل الرد على مـــا ورد من المزاعم المتضاربة التي يطالعنا بها ناقد الفكر الديني مرة بعد مرة كما ورد في العبارة الآتية :

«عرف الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان ناطق وإذا كان الإنسان حيواناً ناطقاً فلا شك كذلك بأنـــه حيوان خرافي . فكما أنـــه الحيوان الوحيد الذي يتصف بالنطق فإنه الحيوان الوحيد أيضاً الذي ينسج الخرافات والأساطير ويحولها الى ميثولجية معقـــدة يؤمن بها إيماناً جازماً كما لو كانت حقائق واقعـة لا ريب فيها .

التفكير الأسطوري إذن صفة جوهريـة من

صفات الإنسان ووجه هام من أوجه نشاطه العقلي بالمعنى الواسع للعبارة » ..

كتاب نقد الفكر الديني ص ٨٤

* * *

عندما نتناول هذه العبارة بالتحليل نراها ظاهرة الخطأ جانحة الفكرة لما فيها من الانحراف والباطل .. وذلك لأن المؤلف الناقد يقول .. عرف الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان ناطق . وإذا كان الإنسان حيواناً ناطقاً فلا شك كذلك أنه حيوان خرافي . ونحن نسلم بالمقطع الأول وهو أن الإنسان حيوان ناطق وإن كان المقصود بمعنى « ناطق » أنه مفكر ولكن المؤلف يبدو عليه أنه لم يفطن لذلك رغم أن هذه قضية معروفة ..

ولا نسلم بالمقطع الثاني لأنه أولاً ليس من كلام الفلاسفة بل من استنتاج المؤلف العبقري .. ولأنه ثانياً غير صحيح .. بل إن وصف الانسان بالنطق لا يقتضي أن يكون مخرفا كما زعم الناقد .. إذ أن التخريف يتنافى مع العقل .. وإذا كان التخريف من لوازم الإنسان الناطق .. والمؤلف مسلم بذلك فهذا اعتراف منه بأنه مخرف لأنه من هذا الجنس .. اللهم إلا إذا جعل نفسه من غير هذا الجنس الإنساني .. لكنه – سواء أراد أو لم يرد – فهو إنسان..وحيث أنه إنسان فإذن هو مخرف والمخرف لا يجوز الخطاب معه .. هذا إذا كان المؤلف مصراً على هذه اللزومية .. أما إذا تنازل عنها واعترف بخطئه في ادعائه بأن الإنسان حيوان مخرف فلا مانع عندنا من إجابته والرد عليه ...

شاءت إرادة الله تعالى أن يجعل في الأرض خليفة متسامياً عن غيره من المخلوقات .. وأمر الملائكة بالسجود له .. وليس السجود المقصود هنا هو

سجود العبادة والخضوع لأن ذلك لله وحده دون سواه .. وإنما هو سجود تكريم.. كقولك سجدت لاحسان فلان... ومنه سجود يعقوب لولده يوسف.. فهو من باب التكريم وليس المراد به العبادة .. فما كان لنبي أن يسجد لغير ربه .. قال تعالى في هذا الشأن : « ورَفَعَ أبَوَيْه على العَرْشِ وخَرّوا لَه سُجَّدا » ...

عندما صدر الأمر الإلهي للملائكة بما فيهم ابليس .. صدع الملائكة لأمر مولاهم وكان منهم السجود .. إلا إبليس لم يشاركهم في السجود خارجاً على النداء الموجه إليه من الله .. واستعمل في ذلك المنطق وحكم العقل .. آبياً مستكبراً ..

نعم إن موقفه قد يبدو سليماً من حيث المنطق لأنه اعتبر نفسه أعلى وأرقى من آدم من حيث التكوين لأن عنصره من النار وعنصر آدم من التراب.. لكنه نسي وتجاهل أن الله هو الآمر .. وما كان من حق العبد أن يخالف أمره وما كان من حقه أن يناقش .. وما كان من حقه أن يستعمل أي وسيلة إزاء الأمر الصادر له من ربه .. كما نرى في صفوف الملائكة تسليماً وانقياداً وطاعة وإذعانا.. سجدوا مباشرة عندما صدر الأمر لهم من الله .. فكان مصير إبليس الطرد واللعن إلى يوم الدين ... وليكون جانباً للشر الذي يناوىء الخير في هذه الحياة .. وليدخل الانسان في هذا الصراع وتلك التجربة بالملاصقة الفعلية حتى يتميز المطيع من العاصي .. والقوي عن الضعيف .. ليتلقى في الآخرة جزاء ما قدمت يداه ....

ولم يقف ناقد الفكر الديني راضياً عن هذا الموقف وأعمل عقله الذي جاد بالعبارة التالية وكأنه وقف على تناقض ظاهر فبدت عليه البهجة والارتياح كما لو وقع على صيد ثمين .. قال :

« إذا نظرنا إلى الأمور من هذه الزوايا بإمكاننا

أن نعتبر الأمر والنهي أشياء طارئة وعرضية إذا قيست بسرمدية المشيئة الربانية وقدم الذات الإلـهية » ...

كتاب نقد الفكر الديني ص ٩٠

* * *

نعم إن من حق أي إنسان ينظر نظرة سطحية أن يقول ما قال ناقد الفكر الديني من أن الأمر والنهي يبدوان وكأنهما أشياء طارئة وعرضية ولكن الحقيقة غير ذلك إذ أن الأمر والنهي قديمان من قبل الله تعالى ، أما تعلق الفعل بهما من حيث الممارسة فهو لا شك طارىء وعرضي ... وهذا السؤال فعلا سؤال وجيه من الدكتور صادق جلال العظم مؤلف نقد الفكر الديني ... وليته لم يقل العبارة التالية :

١ – « لا شك أن إبليس خالف الأمر الإلـهي عندما رفض السجود لآدم غير أنه كان منسجما كل الانسجام مع المشيئة الإلـهية ومع واجبه المطلق نحو ربه ..

٢ – لو وقع إبليس ساجداً لآدم لخرج عن حقيقة التوحيد وعصى واجبه المطلق نحو معبوده .. أراد الله للملائكة أن يقدسوه وأن يسبحوا باسمه . لذلك كان السجود لآدم وقوعاً في ما يضيفه أهل الشرك إلى الذات الصمدية مما هي منزهة عنه . إذ أن السجود لغير الله لا يجوز على الإطلاق لأنه شرك به » ..

نقد الفكر الديني ص ٩٠

نحن لا نعلم المشيئة الإلـهية ولا ندري بما كتب وقدر علينـــا ولكن واجبنا منحصر في الطاعة والخضوع لأوامر الله تعالى .. وما قدر علينـــا ليس هو المؤثر في سلوكنا .. وسأضرب لذلك مثـــلا إزالة للغموض الذي يكتنف مثل هذه الأمور : أنت أستاذ بالجامعة ومعك مجموعة من طلابـك عددهم عشرون .. لاحظت بسبب مخالطتك لهم وتجربتـك عليهم أن خمسة عشر يواظبون على المحاضرات وتلقي الدروس بهمة ونشاط وسعي متواصـل أملا في النجاح .. ووجدت الآخرين يبدو عليهم الخمول ويدب فيهم الكسل.. ولا يحافظون على الاستماع .. ولا يبذلون جهداً في التحصيل .. فقـدرت في نفسك أن الطلاب الأول سيقدر لهم النجاح فنجحوا فعلا .. وتأكدت أيضاً أن الطلاب الخاملين سيكون من نصيبهم الرسوب فرسبوا .. فهل كان تقديرك مؤثراً في سلوكهم .. أي بعبارة أوضح .. هل كان سبباً في نجـاح المجتهدين ورسوب الأغبياء ؟..

بالطبع سيكون الجواب بأن تقديرك لم يكن هو المؤثر في ذلك ..

فكذلك سبق في علم الله تعالى، القديم الذي لا يتخلف مطلقا، أن هذا العبد لو صدر إليه أمر سيخالفه بمحض إرادته وبدون أي تأثير عليه ... وإلا لو كان العبد مجبوراً وأصبح كريشة معلقة في الهواء يذهب بهـــا كيف يشاء لكان الأمر كما خطر ببالك ..

وجبر العبد لا يتفق مع العقل .. إذ يترتب عليه أنه لا فرق بين إنسان عاقل وآخر مجنون .. لكن الواقع يؤكد أن هناك فرقا ..

كذلك يترتب عليه نفي الحكمة التي جاء من أجلها الرسل، إذ أن دعوتهم وقتئذ تكون نوعاً من العبث ما دام العبد مجبوراً على سلوك معين .. ولترتب أيضاً عدم ضرورة وجود الجنة والنار والثواب والعقاب إذ لا داعي إليـــه طالما كان العبد مجبوراً .. ولكن الأمر والترتيب الحقيقي ينافي ذلك ..

نعم .. هناك أعمال اضطرارية لا مدخل للعبد فيها بكسب أو اكتساب.. وهي الأعمال التي تصدر من العبد رغم أنفه وبدون إرادته كرعشة المحموم والحركات الاجبارية .. ولا يؤاخذ العبد من هذا النوع من الاعمال ..

وهناك أعمال اختيارية وهي التي تصدر من العبد وفق ارادته وحسب مشيئته .. كالقراءة أو النوم أو الأكل أو اللعب أو ما شابه ذلك .. فمثلا أنت الآن تجلس في بيتك لك الاختيار المطلق في أن تفتح كتاباً لقراءته أو تفضيل النوم على ذلك .. والنافذة التي أمامك تستطيع أن تفتحها وتستطيع كذلك إغلاقها..وامامك الخمر تباع في الأسواق في إمكانك شراؤها وتعاطيها وفي مقدورك أن تمتنع عن شربها وذلك بمحض إرادتك ومشيئتك .. من أجل هذا يحاسب العبد على أفعاله الاختيارية ...

هذا بالنسبة للمقطع الأول من كلام مؤلف نقد الفكر الديني ...

أما بالنسبة للمقطع الثاني الذي يدعي بأن سجود الملائكة لآدم سجود لغير الله وإشراك للذات الصمدية في العبادة وهو منزه عنها .. وأن إبليس امتنع عن ذلك اعترافاً منه بالوحدانية.. وأنه لو سجد لآدم لخرج عن حقيقة التوحيد وعصى واجبه المطلق نحو معبوده .. فهذا تصور خاطىء .. وفهم غير صحيح .. واستنتاج في غير محله .. وألخص الجواب على ذلك في الآتي :

لو أنك تملك عبداً .. أو كان لديك خادم أو حارس وقلت له آمراً مؤكداً : لا تسمح لأحد بالدخول إلى مكتبي وأنا غائب .. فتقبل منك هذا الأمر ونفذه وصار على ذلك فترة طويلة منفذاً لارادتك .. ثم قلت له في يوم من الأيام سيأتي زائراً لمكتبي وأنا غائب فعليك أن تدخله .. فأطاعك الحارس وسمح للزائر بالدخول .. هل يعتبر تصرف الخادم حينئذ على هذه

الصورة عاصياً وخارجاً على أمرك الأول ؟.. بالطبع لا نعتبر هذا الحارس عاصياً لأمرك الأول بعد صدور أمرك الثاني ...

ومن هذا المثل الواضح ننتقل إلى إبليس .. أمره ربه تعالى بعدم السجود لغيره .. فأطاع ولم يسجد لسواه .. ثم أمره ربه بالسجود لآدم فخالف أمر ربه .. ولو سجد لكان مطيعاً لأن الآمر بالسجود هو الله وبإرادة الله .. أما امتناعه عن السجود بعد صدور الأمر اليه فهذا لا شك في أنه مخالفة وعصيان وخروج عن الطاعة ...

ومن هذا يتبين لنا أن سجود الملائكة ليس سجوداً لغير الله لأنه من باب التكريم ويختلف اختلافاً واسعاً عن السجود لله تعالى .. وعلى أي صورة فهو بأمر الله الواجب عليهم طاعته والخضوع له ..

وأن امتناع إبليس عن السجود لآدم ليس من باب الطاعة وعدم السجود لغير الله بل هو عصيان وتمرد وإباء ...

الموازنة بين العقاد وناقد الفكر الديني

ليس المقصود من هذه الموازنة أن أضع العقاد وناقد الفكر الديني في كفتي الميزان من حيث الشخصية والعبقرية .. ولكني أقصر الموازنة بينهما في جانب من الجوانب .. وهو الخاص بمسألة إبليس التي تعرض اليها كتاب نقد الفكر الديني ثائراً ومضعفا لاسانيد العقاد التي تجرم إبليس وتصوره عاصياً عاقاً آبقاً متمرداً ... فقال صاحب نقد الفكر الديني ما يلي :

« قبل أن أستمر في استخلاص النتائج المترتبة على
هذا التصور لمحنة ابليس أجدني مضطراً للرد على

الدعوى التي قال بها العقاد في كتابه ابليس. تتلخص دعوى العقاد في محاولة للدفاع عن النظرة التقليدية السطحية الى شخصية ابليس واعتبـــاره مجرد كائن عصى ربه فطرده من الجنة . لذلك يرفض العقـــاد الاعتراف بمحنة ابليس ويقول بوجوب سجوده لآدم. وعند تمحيص هذا الرأي نجد أنه يستند الى حجتين:

١) وجب على الملائكة السجود لآدم لأنــه خير منهم فهو قادر على فعل الخير والشر بينما الملائكـة قادرة على فعل الخير فقط وهي بمنجاة من غوايـــة الشر ولا توصف به ..

٢) حق السجود لآدم لأن الله علمه الاسماء كلها ولم يعلمها للملائكة مما جعله أسمى مرتبة منهـــا . وسأرد على كل من هاتين الحجتين على حدة ...

يبدو لي أن دعوى العقاد القائلة بفضل آدم على الملائكة لانه عرضة للخير والشر بينما هي بمنجاة من غواية ،دعوى فاسدة من أساسها للأسباب التالية :

أ) تبرهن قصة ابليس أنه حتى سادة الملائكة والمقربين منهم ليسوا بمنجاة من غواية الشر والا لما عصى ابليس ربه وانتهى الى بئس المصير . نستنتج اذن ان الملائكة عرضة للخير والشر وهي كالانسان. مطالبة بالخيرات وممتحنة بالشرور ممـا ينفي فضل آدم على الملائكة وبالتالي يلغي ضرورة السجود له .

ب) لو افترضنا جدلاً مع العقاد أن الملائكة ليست عرضة للخير والشر وانما هي تفعل الخير دائماً بطبيعتها وجوهرها فهل يعني ذلك أن آدم افضل منها ؟.. لنطرح السؤال بصيغة أعم وأشمل : أيهما أفضل : الكائنات التي تصنع الخير أحياناً وتصنع الشر أحياناً أخرى فتفسد في الارض وتسفك الدماء أم الكائنات التي لا تصنع الا الخير بصورة مستمرة ودائمة ؟ أعتقد أن الجواب على هذا السؤال واضح كل الوضوح ولا يتطلب مزيداً من النقاش » ...

كتاب نقد الفكر الديني ص ٩٤

وقبل الشروع في المقارنة بين رأي العقاد ورأي الدكتور العظم فإنني أحب أن أذكر أن الدكتور العظم أعطى للبحث حقه وأضفى عليه صورة للمناظرة المنطقية السليمة .. وبدأ في مباراة علمية لا بأس بها .. اذ أنه استعمل أساليب الجدل والمحاورة بطريقة لا يستهان بها ... وبعد ذلك ندخل في الموضوع مباشرة لفحص الآراء واستنباط الحقيقة دون تحيز أو تعصب .. متناولين آراء الطرفين بالبحث عنها والكشف لها حتى تظهر جلية واضحة .. ولنبدأ أولا بكلام العقاد ، فنقول : هناك اختلاف بين نظرة العقاد للمسألة الخاصة بإبليس .. وبين نظرة الدكتور العظم .. فالعقاد يرى أن ابليس حقيقة وليست اسطورة .. ويراها الدكتور العظم خرافة وهمية نسجها الخيال .. وبالطبع نجد الفرق الشاسع بين النظرتين ..

وكذلك اعتبر العقاد ابليس عاصياً مخطئاً في عدم السجود لآدم .

ويراه العظم مطيعاً أدى واجبه نحو ربه في عدم السجود لآدم

ويؤكد العقاد أن الملائكة أدوا واجبهم حين سجدوا لآدم .

ويعتقد العظم أن الملائكة انحرفوا وجنحوا عن أمر ربهم لسجودهم لآدم .

ولكل من المتناظرين وجهته الخاصة في الاستدلال لرأيه ودعواه ...

ويستند العقاد في ذلك على أن آدم خير من الملائكة لانه قادر على الخير والشر بينما الملائكة قادرة على فعل الخير فقط وأنها بمنجاة من غواية الشر ولا توصف به ..

واستند أيضاً الى ان الله علم آدم الاسماء كلها ولم يعلمها الملائكة مما جعله أسمى مرتبة منها .. هذه خلاصة وجهة نظر العقاد ...

ونحن نرى أن كلام العقاد متمشياً مع العقل والمنطق ولا اعتراض عليه . وان كنت آخذ على العقاد جعله هذه الاسباب وسيلة لسجود الملائكة لآدم . اذ أن كل هـــذه المميزات لا تجعله مستحقاً للسجود له من الملائكة اذا قيس بأنه أمر من عند الله .. حتى ولو لم تكن هذه المؤهلات لدى آدم لكان مستحقاً للسجود له من الملائكة بمجرد الامر الالـــهي ..

وبمعنى أوسع لو أن آدم علم ما لم تعلمه الملائكة لما كان ذلك مستوجباً لسجودهم له اذا كان ذلك غير مقرون بأمر الله للملائكة بالسجود .. فهناك من الملائكة الابرار المقربين مثل جبريل يعـــلم ما لم تعلمه الملائكة ومـــع هذا لم يسجدوا له لكونه علم ما لم يعلموا .. اذن فالدافع للسجود هو الامر الصادر من الله تعالى للملائكة وليست المسألة مسألة مفاصلة وليست كذلك مجرد اغراء لهم بالسجود كما قال الدكتور العظم لان الله تعالى في غنى عن ان يعلل ارادته فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.. كما أنه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ...

وهذا رأي خاص للعقاد .. ورأيه مستمد من اجتهـــاده .. وعلى أي احتمال فهو يعتقد تمام الاعتقاد بوجود ابليس وانه حقيقة لا تقبل الشك .. خلافا لرأي الدكتور العظم الذي لا ينظر الى ابليس من حيث انـه حقيقة واقعة بل من جانب معين ينحصر في الموقف والتصرف ...

وعندما نتناول موقف الدكتور العظم في هذا الصدد نعتب عليه مبدئياً لخروجه عن آداب البحث والمناظرة التي كان من الواجب عليه مراعاتها .. وذلك لقوله :

« يبدو لي أن دعوى العقـــاد بفضل آدم على الملائكة لانه عرضة للخير والشر بينما هي بمنجـــاة من غواية ، دعوى فاسدة »..

نقد الفكر الديني ص ٩٤

اذ ليس من حقه بحال من الأحوال أن يحكم على مناظره بالفساد .. مما دام هو طرفـــاً في القضية .. وليس من حقه كذلك أن ينسب لنفسه الصواب والنزاهة عن الخطأ .. لأنه بذلك أوقع نفسه في الخطأ ..

* * *

استدل الدكتور العظم على تفنيده للعقاد في رأيه بالقول التالي :

١) « تبرهن قصة ابليس أنه حتى سادة الملائكة والمقربين منهم ليسوا بمنجاة من غواية الشر والا لما عصى ابليس ربه وانتهى الى سوء المصير . نستنتج اذن أن الملائكة عرضة للخير والشر وهي كالانسان

مطالبة بالخيرات وممتحنة بالشرور مما ينفي فضل آدم على الملائكة وبالتالي يلغي ضرورة السجود له » ..

نقد الفكر الديني ص ٩٤

* * *

ان من المؤسف حقاً أن يلقي الانسان بالكلام جزافاً .. ونحن نرى من خلال كلام الدكتور العظم الخطأ الواضح في تعمده واصراره على هذا السلوك الذي لا يتفق مع المنطق السليم .. وان المتتبع لقوله يلمس ذلك بوضوح .. عندما قال .. نلمس اذن بوضوح أن الملائكة عرضة للخير والشر .. من أين أتى بهذه النتيجة الحتمية المفروضة ؟...

نحن لم نسلم له بالمقدمة التي ساقها من قبل .. والتي يقول فيها : «تبرهن قصة ابليس أنه حتى سادة الملائكة والمقربين منهم ليسوا بمنجاة من غواية الشر والا لما عصى ابليس ربه وانتهى الى بئس المصير » ...

ان الملائكة مطبوعون بفطرتهم على الذكر والتسبيح والطاعة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .. يفعلون الطاعة بالقوة .. وصدور الشر عنهم أو العصيان منهم مستحيل وغير جائز ...

وليس من الحكمة أن نقرنهم بما وقع من ابليس .. اذ لا علاقة بينهما مطلقا .. لأننا لم نسلم سلفاً بأن ابليس من جنس الملائكة بل هناك اختلاف بينه وبينهم .. « الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ».. والملائكة — كما أوضحت فيما تقدم — مخلوقون من النور .. والجن مخلوقون من النار .. فما وجه الربط بينهما اذن .. حتى تستنتج أن ما يجوز عليه يجوز على الملائكة ؟...

لو أننا سلمنا بأن ابليس من جنس الملائكة لكان من حقك حينئذ أن تربط بينهما لأن ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر ...

وحيث اننا لم نعترف بأن ابليس من الملائكة .. فالربط بينهما غـــير جائز ....

وعلى هذا نكون قد أبطلنـا المقدمة في كلام الدكتور العظم الذي ظهر فساد النتيجة المترتبة عليها كما أوضحنا ... وبذلك تسقط الحجة التي أراد أن يفند بها الدليل الأول للعقاد ...

ثم شرع الدكتور العظم في إبطال الدليل الثاني للعقاد فقال في ذلك :

ب) « لو افترضنا جدلا مع العقـــاد أن الملائكة ليست عرضة للخير والشر وانما هي تفعل الخير دائما بطبيعتهـا وجوهرها فهل يعني ذلك أن آدم أفضل منها ؟..

لنطرح السؤال بصيغة أعم وأشمل : أيهما افضل؟. الكائنات التي تصنع الخير أحياناً وتصنع الشر أحيانا أخرى فتفسد في الأرض وتسفك الدماء أم الكائنات التي لا تصنع الا الخير بصورة مستمرة ودائمة ؟.. أعتقد أن الجواب على هـــذا السؤال واضح كل الوضوح ولا يتطلب مزيداً من النقاش » ...

كتاب نقد الفكر الديني ص ٩٥

* * *

يعز علي كثيراً أن أرى الدكتور العظم لا يرى الحقيقة رغم وضوحهـــا

بجلاء .. ان المفاضلة بين آدم والملائكة لم تكن مفاضلة عامة من كل الوجوه.. بل هي من ناحية واحدة فقط .. وهي أمر الله دون سواه .. وليست المسألة مترتبة على الأفضلية فحسب .. وكان من المستحسن منك ومن العقاد عدم التعليل لأن ارادة الله بالسجود أو غيره في غنى عن هذا التعليل – كما أوضحت من قبل – ولكن ما دمت مصراً على رأيك في المفاضلة بين آدم والملائكة.. فلا مانع من أن أوضح لك وجه المفاضلة ..

أنت تقول في حديثك بأن الكائنات التي لا يصدر منها الا الخير أفضل من الكائنات التي تكون عرضة للخير والشر .. وأقول لك أيضاً بأن هذا غير مسلم به .. لأن الانسان الذي يصل الى النجاح بعد تجربة وامتحان أفضل من الذي ينجح بلا تجربة وامتحان .. والشخص الذي يحصل ثروة بعد جهد وعناء وتذليل للعقبات .. أفضل ألف مرة من الذي وجد ثروة سهلة لينة جاءته عن طريق الميراث أو ربما ربحها في مقامرة كأوراق « اليانصيب » ...

وعلى هذا يكون الإنسان الذي ابتلي فصبر .. وامتُحن ففاز .. خيراً من الملائكة الذين لم يبتلوا ولم يمتحنوا .. ولذلك نرى أن الله تعالى جعل الجنة للمتقين من الآدميين دون الملائكة ... والله تعالى يقول في هذا الشأن :

« ولَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ وحَمَلْناهُمْ في البَرِّ والبَحْرِ ورَزَقْناهُمْ من الطَّيِّباتِ وفَضَّلْناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنا تَفْضِيلا » ...

سورة الإسراء

نعم .. جرى خلاف واسع بين علماء التوحيد في المفاضلة بين بني الإنسان وبين الملائكة .. ولكن من جهة الجنس .. أما بالنسبة لآدم في هذا الموقف بالذات فلا شك أنه أكثر منهم فضلا حينما علمه الله الاسماء كلها ..

ولنرجع بعد ذلك لموضوعنا الذي ما زلنا بصدده فلو سلمنا جدلاً للدكتور العظم ونزلنا عند رأيه الذي يقول بـــأن الكائنات التي تصنع الخير بصورة مستمرة ودائمة أفضل من الكائنات التي تصنع الخير أحيـــاناً وتصنع الشر أحياناً أخرى .. لو سلمنا بذلك لترتب عليه أن الكلاب المخلصة لأصحابها في أمانة ووفاء .. تكون أفضل من الإنسان ...

والهرة الوادعة الأنيسة تكون كذلك أفضل من الانسان ...

والطائر الغريد الذي يمنح الوجود أنغاماً وبشراً أفضل من الانسان ...

والبقرة المستسلمة التي تساعدنا على أعباء الحياة ونشرب لبنها ونأكل لحمها على هذا تصبح أفضل من الانسان ... ولا قائل بذلك أبداً ...

إذن لا شك مطلقاً بأن الكائنات التي تجتاز المحن بصبر وإيمان ويقين .. والتي تغلب جانب الخير على الشر .. والتي تدخـل في صراع عنيف لنصرة الحق على الباطل .. أفضل بكثير من الكائنات التي تمر بهـــذه المحن . ولم تنصهر في تلك الشدائد ..

وبعد هذا كله لا أجد دليلاً أوضح على مــا قلت ، من قول المولى عز وجـــل :

« إنّـا عَرَضْنا الأمانَـةَ على السَّمٰوات والأرضِ والجِبالِ فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كان ظَلوماً جَهُولا » ..

أي ظالماً لنفسه لتحمله هـذه المشقات وهـــذه التبعات التي تنوء بحملها الجبال .. وجاهلا لما يترتب على ذلك من عدم فهمه لجسامة الأمر الملقى على عاتقه .. إذن فالإنسان الذي يعبر هذه العقبات العسيرات الصعبة لا شك مطلقاً بأنه ذو جوهر صاف نقي .. ومعدن طاهر أصيل ...

وهنا أحب أن أضيف قولاً أظنه قد خفى على الدكتور العظم .. وهو أن قول الملائكة لله تعالى «أتَجْعَلُ فيها من يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدّماءَ» .. لم يكن هذا الأمر من باب الحقيقة بل هو من باب لسان الحال فقط. إذ ما كان من حق الملائكة أن يقولوا هذا القول لله تبارك وتعالى وهو أعلم به منهم ...

أما قول الدكتور العظم عندما أراد تفنيد رأي العقاد الذي جاء فيه : (فهل يريد العقاد أن يجعل من قدرة آدم على الإفساد وسفك الدماء مصدراً لسموه على الملائكة ؟) مردود ، إذ أن الفساد وسفك الدماء لم تكن منسوبة لآدم بل هي لذريته .. أما الملائكة فهم يعلمون أن آدم سيكون رسولا .. وعندما يصبح بهذه الصفة فإنه يكون معصوماً لاسيا عن الفساد وسفك الدماء .. وهذا استنتاج ظاهر الخطأ من الدكتور العظم ...

ثم يقول بعد ذلك .. (ولا شك أنه كان باستطاعة الملائكة تعلم الأسماء كلها لو شاء الله ذلك ..) .. ولماذا هذا الافتراض وقد تبين أن الله تعالى لم يشأ ذلك ؟...

وبعد هذا يفاجئنا الدكتور العظم بعصارة فكره ونتيجة بحثه وكأنه العليم بكل الأشياء .. فقال : نستخلص مما ورد :

« ١ — أن لا فضل لآدم على الملائكة بما فيهم إبليس لا من حيث القدرة على صنعه الخير والشر ولا من حيث علمه بالأسماء كلها ..

٢ — أن جوهر إبليس أفضل وأسمى من جوهر آدم لأن الله خلقه من نار وخلق آدم من صلصال وهو الذي أراد الصلصال ألا يسمو سمو النار .

٣ – إن دعوى العقاد القائلة بأنه كان يجب على إبليس أن يسجد لآدم لأنه أفضل من الملائكة دعوى فاسدة ومردودة » ...

نقد الفكر الديني ص ٩٦

***

ومن هذا الاسلوب نرى الدكتور العظم يعطي لنفسه – كالعادة – منزلة العالم العلامة .. بل أكثر من ذلك بكثير، لأنه باستنتاجه هذا لم يخطىء العقاد فحسب .. بل ذهب إلى أبعد وأبعد .. فخطأ الله تعالى .. تعـــالى الله عن ذلك علواً كبيراً .. وفي هذا وذاك من السقوط والتردي والتخبط ما فيه...

ولو أن الناقد الفيلسوف اطلع على ما قدمته من بطلان كلامه وتضعيف أدلته ومزاعمه بل وإسقاطها لما طرق هذه الموضوعـــات التي ظهرت هزيلة كئيبة جوفاء ...

بقي علينا أن نضع كلامنا وكلامه أمام نظر القارىء الكريم ليضعه في ميزان العقل والفكر ليرى في النهاية رجحان الحق على الباطل .. والخير على الشر .. والفضيلة على الرذيلة .. والبقاء دائماً وأبداً للأصلاح الصحيح ...

وأما الباطل فيذهب جُفاءً .. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض نامياً باسقاً مزهراً مثمراً ...

إن الذين ينتصرون للأباطيل لا يستطيعون ترويجها إلا بعد تزيينها وتحليتها ووضعها في إطار من الزيف والتمويه كالسم في العسل .. ومن ذلك محاولة الدكتور العظم في نسبته المكر بصورته الكريهة إلى ذات الله تبارك وتعالى.. فلقد تناول بعض الآيات القرآنية الكريمة ليشوه بها الكمـــال الرباني متغافلاً

عن المعنى الحقيقي المقصود الذي لا يتفق بحال من الأحوال مع سياق الآيات المجيدة فتعرض لقوله تعالى «ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ واللهُ خيْرَ الماكِرِين».. وقوله تعالى « وإذ يمْكُرُ بكَ الّذين كَفَرُوا ليُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجوكَ ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرِين » . .

قصد الناقد من وراء ذلك أن يظهر المولى سبحانه وتعالى بمظهر المكر والخداع وهما مستحيلان على الله تعالى .. لأنهما من صفـــات النقص حتى في الانسان فما بالك بالإلـه المنزه عن جميع النقائص ؟...

إن المقصود بالمكر هنـــا – وأظنه لا يخفى عليك – ليس المعنى الذي تحاول إبرازه والوصول إليه .. وإنما هو بمعنى التدبير بالنسبة لجانب الله .. بخلاف المكر في جانب البشر فهو على حقيقة .. والذي يجعلنا نقدره على هذا الوضع متطلبات السياق .. فلو كان المكر مذمة ونقيصة في جانب الله على زعمك لكان من المقتضى واللازم أن يقول والله شر الماكرين بـدلاً من قوله خير الماكرين .. لأننا إذا أردنا أن نفاضل بين درجات المكر لقلنا هذه أشر الدرجات لأن المكر إذا تعمق كان الصق بالشر .. كما لا يجوز لنا أن نقول هذا شر الخيرين .. لوضوح التناقض ...

ولو أن الله تعالى كان يعلم أن وصفه بالمكر نقيصة ومذمة لما وصف نفسه بهذا الوصف. إذن أن المادح لنفسه لا يصف نفسه عادة بالأوصاف المشينة.. وإلا كان عابثاً أو سفيهاً .. والعبث والسفه على الله سبحانه محال .. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ...

نسمع الله تبارك وتعالى يقول«إنَّ اللهَ وملائِكَتَهُ يُصَلّون على النَّبِيِّ يا أيُّها الّذين آمَنُوا صَلُّوا عليْهِ وسَلّموا تَسْليما » ..

فالصلاة من الله تبارك وتعالى ليست كصلاتنا المعروفـة التي تشتمل على

ركوع وسجود وخضوع وخشوع.. إذ لا يتأتى ذلك من الله سبحانه وتعالى وعلى هذا يتحتم علينا أن نفهم بأن المقصود بالصلاة منه تعالى هي الرحمة والرضاء والمغفرة ... ومثال ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ لبعض أصحابه وقد أطفأ السراج بحجة إصلاحه ليوهم ضيفه أنه وامرأته يأكلان معه .. « قد ضحك الله من فعالكما الليلة » .. فلا يجوز بحال أن نحمل الضحك على ظاهره إذ أن ذلك مستحيل على الله.. ولأن الضحك من صفات الحوادث والله مخالف لها ... فيتحتم أن نخرج اللفظ عن هذا المعنى المتبادر للذهن الى المعنى المناسب فيفسر الضحك هنا بأنه الرضى .. فيكون المعنى لقد رضي الله عن فعالكما الليلة ...

* * *

الذئب عدو الحمل .. والقط عدو الفأر .. والشيطان عدو الانسان .. والانسان عدو نفسه ..

على بساط البحث

اعلم ما لم تكن تعلم

رحم الله امرءاً عرف قــــدر نفسه .. ولو أن كل إنسان لزم اختصاصه وبذل فيه جهده وأعطاه حقه لكان منتجـاً بنـّاءً .. يضفي على الوجود من حوله خصباً ونماءً ... أما إذا تخطى المرء حدوده ممتطياً شيطـــان الغرور متوهماً الدراية والمعرفة في كل الأمور .. فهو لا شك إنسان مخدوع مفتون.. لا يخرج إلا جهلاً وضلالاً ...

نرى كثيراً من الشباب يقحمون أنفسهم في مسائل معقدة بالنسبة لهم .. ويعتنقون مذاهب متعصبين لها غاية التعصب .. زاعمين أنهم أصحابها .. في الوقت الذي لا يعرفون عنها شيئاً.. قليلا كان أو كثيراً.. قريباً أو بعيداً.. دار حوار بيني وبين أحدهم في موقف كان يحمل على الأديان حملة عنيفـــة قاسية .. فسألته : لماذا تحمل على الأديان بهذه الطريقة الحماسية ؟. فأجاب : لأنني أعتقد أنها مجرد خرافات وأساطير .. قلت : ولماذا تحب وتتعصب لهذا المذهب الذي تتحمس له؟. أجاب : لأنه أعجبني واتفق مع عقلي وفكري.. قلت : وهل تعرف عن دينك شيئاً ؟. وما هي نواحي النقص فيه فربمـــا استطعت إيضاحها لك وإزالة الشبهة عنها ؟. قال : لا أعرف عن الدين شيئاً لأن البحث فيه مضيعة للوقت وحجر على العقــل .. قلت : إذن فاذكر لي مزايا هذا المذهب الذي تؤمن به .. فقال : الأمر يحتاج إلى شرح كبـــير ويستغرق ذلك زمناً طويلا .. وأخذت في مجاراته ، فقلت: أنا أكتفي منك

بأصوله فقط فوضح لي الخطوط العريضة .. فإذا به لا يعرف عن هذا المذهب أي فكرة ...

وعز علي أن يذهب شاب في مقتبل عمره ضحية تأثير الموجات الإلحادية والتيارات الانحلالية .. وبينت له أن موقفه على هذه الصورة يجعله تماماً شبيهاً بالحيوان الأعجم الذي يعجز عن الإفصاح .. لأن وضعه لا يختلف عن وضعه . فالحيوان إذا عرضت عليه الحلوى امتنع عن تناولها .. وإذا قدمت إليه الحشائش والأعشاب فإنه يلتهمها .. فلو وجه إليه سؤال : لماذا لم تأكل الحلوى وأكلت الحشائش والأعشاب ؟.. فبالطبع لن تجد عنده جواباً .. وبهذا نجد التشابه واضحا بين من يعتنق شيئا على غير أساس ويحب شيئا آخر بدون حجة بهذا الحيوان الصامت البهيم ..

نرى أن هذا الشاب ومن على شاكلته يرمون أهل الديانات السماوية السمحاء بالأيديلوجية الدينية .. وإن كانوا هم الغرقى فيها .. ويصمونهم بالتعصب والتحجر ولو أنصفوا لرموا أنفسهم بها ... ومن التكرار أن أعود فأقول بأن إيماننا لم يكن مجرد تقليد أو وراثة .. وإنما تلقيناه نتيجة صراع مرير وكفاح متواصل وتنازع مستعر بين الحق والباطل .. وبين النور والظلام .. وبين التوحيد والإشراك .. وأصبح أمراً بدهيا أجمعت عليه الدنيا شرقها وغربها على حد سواء . اللهم إلا من بعض الشواذ الذين ضلوا طريق المعرفة لما ران على عقولهم من حمق وغرور وافتتان ... وأكبر دليل على ذلك أن نرى ناقد الفكر الديني يلقي الشبهات ويقذف بها .. ولا أدري هل جهل الحقيقة فعلا أو تجاهلها ...

يقول في كتابه :

« ورد معنا ذكر طائفة من المفكرين يقولون إن المعرفة الدينية تختلف اختلافا جذريا وكليا عن

المعرفة بمعناهـا العقلي أو العلمي لذلك نجدها دائما متناقضة مع المنطق ومنافية للعقل . يقول أصحاب هذا المذهب أن العقل الإنساني قاصر عن أن يعرف طبيعة الإلـه وعن أن يحيط به ولو إحاطة جزئية. إنه عاجز عن تصوره وعن التعبـير عن طبيعتـه . وعبر البعض عن هذا الرأي بقولهم عن الله : « كل ما يخطر ببالك فهو خلاف لذلك » .. توجد عـدة اعتراضات على هذا الموقف : أولاً هـل بإمكاني أن أقيم أية علاقة جدية بيني وبين هـذا الإلـه الذي تجاوزت طبيعته منطقي ومشاعري وأفكاري ومثلي وآمالي ؟.. هل بإمكاني أن أجد عزاءً في إله جـل ما أعرف عنه أنـه مهما خطر في بالي من أفكار وصفات فهو يختلف عنها اختلافا مطلقا ؟ إن وجود مثل هـذا الإلـه وعدم وجوده سيان بالنسبة إلي» ... الخ .

كتاب نقد الفكر الديني ص ٧٢

* * *

إن ادعاءه بوجود الاختلاف الجذري الكلي بين الدين والمعرفة العقليـة والعلمية فهذا غير مسلم به ويحتاج إلى دليل وقد سبق أن قدمنا في ردنا على التوفيق والتناسق التامين بين الدين والمعرفة بمعناها العقلي والعلمي .. وعرضنا كثيراً من الآيات القرآنية بأحدث العلوم والنظريات فلم نجد أي تنـاقض أو تضارب ..

وأما الاعتراض على عدم معرفة ذات الله تعالى والإحاطة به لأن طبيعتـه

تتجاوز مطلقا المنطق والمشاعر والأفكار والمثل والآمال .. فهو منقوض لأن الله تعالى لا يوصف بالكم أو الكيف ومنزه عن كل صفاتنا فعلا .. ولا يشترط بحال من الأحوال أن نربط علاقتنا به على أساس معرفة ذاته .. بل يكفي معرفة آثاره الدالة عليه .. فأنت لا شك تعترف بخوفو وخفرع ومنقرع لما تنطق به آثارهم..وأنت لا تعرف شيئا عن أسرارهم ومع هذا تؤمن بهم وتقرأ تاريخهم ..

أما قولك بضرورة معرفة الذات وجعل ذلك شرطا للإيمان . وأن عدم المعرفة للذات الإلـهية غير ملزم للإيمان بها .. فهذا مردود إذ أن علماء الفلك يعترفون بوجود كواكب سارية في الفضاء غير مرئية ولا يعلمون شيئا عن حقيقتها.. وعلماء الفضاء يؤمنون كذلك بوجود كائنات في بعض الكواكب مع جهلهم المطلق عن معرفة هذه الكائنات . .

ويترتب على كلام ناقد الفكر الديني الذي يرى أن من الضروري معرفة ذات الله واتفاق طبيعته بطبيعته ومشاعره وأفكاره وآماله .. أن من الواجب أن يتنزل الله إلى طبقة البشر .. أو يرتقي البشر إلى سموه تبارك وتعالى .. وعلى الناقد إذن - ما دام متمسكا بضرورة عدم الإيمان إلا بعد المعرفة الذاتية – أن يكفر وينكر وجود عقله حيث أنه لم يعرف عن كنهه أو حقيقته أو صورته شيئا .. وإلا إن كان يعرف حقيقة العقل فليكشف لنا الستار عنها .. وإذا كان عاجزاً عن إثبات ذلك – وهو لا شك عاجز– فكيف يشترط ذلك بالنسبة لله جل جلاله ؟...

ثم بعد ذلك نرى الدكتور العظم يثور على بعض المعتقدات الدينية التي لا تتفق مع العقل – في نظره – ووجوب التفويض في معرفتها لله تعالى .. وسبق أن عالجنا هذا الموضوع بشيء من الإيضاح فلا حاجة إلى تكراره .. ولنستعرض الآن طرفا آخر من مزاعمه التي قال عنها :

« ولكن السؤال الذي يجابهني هو : هل بإمكاني – أنا ابن هذا القرن وربيب حضارته وعلمه – أن أومن إيمان العجائز بما يبدو لي بكل تأكيد تناقضا صارخا وموقفا لا تماسك فيه ولا انسجام علما بأن وجود إيماني أو عدمه لن يغير من حدة هذا التناقض أو يقلل من شأنه ؟ إذا تقبلت هذا التناقض الواضح ماذا يمنعني إذن من تقبل جميع التناقضات الأخرى التي نجدها في جميع الديانات والأساطير والحكايات؟»

كتاب نقد الفكر الديني ص ٧٤

وما دام الناقد رفض أن يؤمن إيمان العجائز بما فيه من إذعان وتسليم إذن كان من الواجب عليه – لو كان مؤمنا – أن يعرفنا حقيقة الإيمان إلا أنه لم يفعل ذلك بل أخذ في الهدم والقذف والرجم والتمويه متعاليا أن يخضع عقله وفكره لهذا الإيمان .. وأطلق لنفسه الحرية في الأنطلاق فإذا به يخالف البشر جميعا لدرجة أصبح بها شاذاً نائيا وذلك عندما جرم الملائكة بسجودهم لآدم ورماهم لهذا بالإشراك وعدم التوحيد .. وجعل من إبليس مثلا أعلى للتضحية والفداء والحفاظ على جوهر التوحيد ، لا يستحق منا إلا الإكبار والتقدير بدلاً من السب واللعن ... هذا ما وصل إليه ناقد الفكر الديني بعقله الحر .. ووجدانه الطليق .. وعبقريته المتفتحة التي قال عنها : أنا ابن هذا القرن وربيب حضارته وعلمه ...

ولست أفهم للحضارة ولا للعلم معنى إلا إذا كان في خدمة البشر وإسعادهم .. وإلا إذا كان ممزوجا بالإيمان .. وإلا لأصبح زيفا وكذبا وافتراء .. فإننا نرى بلدانا وصلت إلى أرقى مظاهر هذه الحضارة والعلم المنطوي على التمويه فلم نجد منهم إلا عكس الصور التي تتطلبها الحضارة

الحقيقية والعلم الصادق .. لأنهم اتخذوا العـلم سلاحا فتاكا لإشباع رغباتهم ومطامعهم .. في القضاء على حرية الشعوب .. وجعلوا من الحضارة ستارا يخفون وراءه أبشع المخازي والموبقات..

أليس علم هذا القرن الذي يمجده الناقد ويشيد به عاد بالإنسان المتعلم إلى العصور المظلمة فأثار الحروب وأشعل المعارك وأوقد الفتن ..؟ ألم يكن هذا العلم أداة تخريب وهلاك ودمار ..؟

ألم نر الحضارة في هذا القرن ما زالت تفرق بـين السود والبيض ..؟ بينما نرى إيمان العجائز الذي يندد به ويطعن فيه لم يكن إلا السمو والجلال .. لما ينطوي عليه من عدل ومساواة وصيانة للحقوق وضمان لكرامة الإنسان ...

إن ربط الناقد بين الأديان والأساطير في قياس واحد فهذا تمويه للأمور وتشويه للحقائق .. فالأديان مجموعة مثل عليا وقيم كاملة ومبادىء سامية تدعو إلى الطهر والنقاء .. وتتضمن أفضل القوانين وأسلم التشريعات .. بينما نرى الأساطير أوهاما وخيالات وأطيافاً جوفاء لا وجود لها ولا دليـل عليها ...

ونرى الناقد كذلك يجسم التناقض بين الدين والحياة .. ويصوره بأبشع المظاهر التي لا تتفق مع العقل فيقول :

« وعلى سبيل المثال تصور إنسانا جـاءك قائلا « يوجد في الجنة عازب متزوج » .. لا شك أنك ستستفسر في الحـال عما يقصد وتنبهه بأن الجملة التي تفوه بها متناقضة مع نفسها» ...

إلى أن قال :

«إن موقف الذين يحلون التناقضات القائمة في صلب

المعتقدات الدينية بواسطة الإيمان المحض لا يختلف كثيرا - عند التمحيص - عن موقف الذي جاءنا بقضية العازب المتزوج » ...

نقد الفكر الديني ص ٧٤

* * *

إن اعتقاد الناقد بوجود تناقضات ظاهرة في أمور الدين فإنما يرجع لعدم وقوفه على أسراره .. مع الإصرار على الجدال الحائر .. والحوار الخائر الذي لا يوصل إلى نتيجة .. لأنه إذا اتضح له الحق أغلق عينه وعقله .. وسد أذنه وسمعه ...

أما قضية المتزوج العازب لرجل الجنة التي اعتبرها الناقد جملة متناقضة وجعلها خارجة عن حدود المنطق والعقل والإدراك .. والتي وقف أمامها حائرا لا يعرف لها حلا .. تعطينا فكرة عن ضآلة خواطره وسطحية علمه وضيق مجاله .. مما لا يحق له مطلقا أن يجعل من نفسه عملاقا أو ناقدا ...

إنني أقول لك لا تعجب من « قضية المتزوج العازب » .. ولا تتصورها متناقضة كما توهمت التناقض في الدين .. فالأمر سهل إذا نظرت إلى رجل الجنة من حيث تمتعه بالحور العين فهو متزوج لأنه يتمتع كما يتمتع المتزوج .. وهو أعزب لأنه لا تبعة عليه فليس في الجنة عقود زواج .. كما أنه غير مضطر أو منشغل بالأعباء التي تستلزمها النفقة الزوجية ...

إن اتصاف الإنسان بصفتين متعارضتين عارضتين في آن واحد ليس بالأمر الغريب الذي يجعلك حائرا ثائرا .. ولن أكتفي أمامك بهذا المثل الذي اعتبرته تناقضا والذي افترضته من باب المستحيلات .. بل سأسوق إليك غيره :

« فلان غني فقير » .. غني لما يملك من الأموال التي تجعله من عداد الأغنياء .. وفقير إذا كانت نفسه غير قانعة فهي مفتقرة دائما ، أو فقير إذا كان بخيلا ممسكا فهو من الفقراء لما يشعر به من الحرمان ...

« وفلان حي ميت » حي بجسده لأن الحياة تجري فيه .. وميت إذا كان غير متجاوب مع الحياة لانعزاله وسلبيته ...

« وفلان عالم جاهل » .. عالم لما حصله من ثقافة ومعرفة .. وجاهل لغروره أو ادعائه أو عدم الانتفاع بالعلم ...

إن العقل الذي ظهر بمظهر الضيق والعجز أمام قضية بسيطة جاهد في الوصول لتأويلها فلم يستطع .. ليس من حقه حينئذ أن يتناول مسائل الأديان بالنقد والتحليل ...

وهكذا نرى الدكتور العظم يربط إيمانه بمعرفته أو عدمها .. متغاضيا عن الحقيقة .. فإذا قصر عقله عن إدراك الأديان أنكرها وكفر بها .. وذلك كما أنكر وجود عازب الجنة المتزوج ولم يؤمن بوجوده ولم يقره وقطع معه كل علاقاته سلبا وإيجابا لأنه عجز عن تصوره .. وكذلك الأديان التي عجز عن دركها والوصول إلى أسرارها ...

* * *

وأخيراً ... دعوة الى الله

أرسل الله نبيه محمدا ﷺ هدى للناس ورحمة للعالمين .. أرسله ربه بالديانة السمحاء.. والشريعة الغراء..يرسم للوجود طريق الخير ليسلكوه.. وسبيل السعادة ليتبعوه .. ونظام الحياة ليعرفوه ... أرسله ربه نبراساً

مضيئاً .. وسراجاً وهَّاجاً ونوراً ساطعاً .. يهدي الضـــالين .. ويرشد الحائرين... أرسله ربه معلما لأمته ينقذهم من الضلال الى الهداية .. وينطلق بهم من الظلمات الى النور .. ويرتقي بهم من وهدة الجهل والباطل .. إلى ذروة الحق والعرفان .. ويرفعهم من حضيض الكفر الى قمة الإيمـان ... أرسله ربه نبيا مرتضى .. وزعيما مُجتبى .. وقائداً ملهما .. يقود الأمة الى العزة والكرامة .. والمجد والشرف .. ويدفع عنهم الذل والهوان .. والضعف والاستسلام ... أرسله ربه مشرعا يظهر الحلال ويدعو إليه .. ويرغب فيه .. ويظهر الحرام وينهي عنه .. ويحذر منه .. ويرسم دروب السعادة التي توصل للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ...

ومن هذا يتبين لنا أن محمداً كان نوراً وأن محمداً كان نعمة .. وأن محمداً كان منحة .. وان محمدا كان قدوة .. وأن محمدا كان أسوة .. وأن محمدا كان دواءً .. وأن محمدا كان شفاءً .. يداوي القلوب.. ويشفي الصدور.. ويبصر العيون .. لأنه هدية المولى الى عباده .. لأنـــه نفحة الرب لبني الإنسان .. لأنه هبة الرحمن للبشر .. لأنه قبس السماء الى الأرض ...

أتاه الناس من كل فج .. وأقبلوا إليه من كل صوب .. وجاءوا نحوه من كل دار .. واجتمعوا عليه من كل جهة .. وساروا خلفه .. يستلهمون الرشاد .. ويستوحون السداد .. ويرتشفون الحكمة .. ويقتبسون التعاليم ويأخذون عنه الفيض الإلـهي .. ويغترفون الوحي الربـاني .. وينتهلون من ذلك الدين السماوي ... لم يأمرهم بشيء إلا اتبعوه .. ولم ينههم عن شيء إلا تركوه .. لأنهم يعلمون أنـه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .. فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف .. وينهون عن المنكر .. ويسارعون في الخيرات .. وأولئك هم المفلحون ...

ساروا في ركابـــه فسعدوا .. وانخرطوا في سلكه فوصلوا .. واتبعوا

تعاليمه فنعموا .. وتمسكوا بمبادئه فسلموا .. وترسموا خطـــاه ففازوا .. ونفذوا أقواله فنجحوا .. وحفظوا سنته فرضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم ...

أمرهم محمد بعبادة الله والإخلاص له .. فتوجهوا لربهم بقلوب صافية .. وأفئدة خاشعة ... تفانوا في ذلك وباعوا الدنيا وما بها من غرور وافتتان وتركوا الحياة بما فيها من ضياع وخسران .. أجسامهم بالأرض وأرواحهم في السماء.. واجلةقلوبهم .. دامعة عيونهم .. شاخصة أبصارهم.. رهبان بالليل فرسان بالنهار .. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقـــام الصلاة وإتياء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .. ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ...

وهكذا نرى محمدا ﷺ وأصحابه وأتباعه صاروا أئمة الدنيا .. وسادة الوجود .. وأعـــلام المجتمع .. وأصبحت سمعتهم ومثاليتهم وسيرتهم من بعدهم أغنية حلوة جميلة.. وأنشودة طيبة لذيذة.. يغنيها الدهر .. ويغردها الزمن . وترتلها الأيام ...

فتعالوا أيها المسلمون إلى الله .. نسأله العفو والغفران .. ونستلهم الرحمة والرضوان .. ونرجوه قوة الإيمان ...

تعالوا أيها المسلمون الى الله .. نبايعه على الرجوع إليه .. والتمسك بـــه والتوكل عليه .. فمنه النصر والنجاح ...

تعالوا أيها المسلمون الى الله .. ننصر دينه .. فقدس شريعته .. ننفذ حكامها ففيها الفوز والفلاح ...

تعالوا أيها المسلمون الى الله .. نعاهده على اسمى المبادىء وأنبل الغايات..

لنصرة الدين ورفع راية الاسلام ...

تعالوا أيهـــا المسلمون الى الله .. نستمد منه العون والعزة .. والنصر والقوة .. لسحق الاعداء ومقاومة الفساد ...

تعالوا أيها المسلمون الى الله .. سائلين إياه .. أن يضيء لناظلمة الحياة.. فلا رب غيره ولا معبود سواه ...

تعالوا أيها المسلمون الى الله .. تائبين نادمين .. خاشعين باكـــين .. متجردين من شرور النفس وقسوة الأحقاد ...

تعالوا أيها المسلمون الى الله .. سائرين في دروب النور .. في موكب الكرامة .. في طريق الاستقامة .. لنصل الى الغاية المنشودة .. والأمل الوضاء ....

ثم هيا أيها المسلمون .. ننسلخ من شرورنا .. نتخلص من غرورنا .. نتبرأ من ضلالنا .. نتطهر من ذنوبنا .. مغتسلين بدموعنا ...

ثم هيا أيها المسلمون.. الى صلاة صحيحة تعصمنا من الفواحش والأوزار.. وتقربنا من العفاف والوقار ...

ثم هيا أيها المسلمون .. لديننا .. لقرآننا .. لشريعتنا .. لسنة نبينا .. ننفذ أحكامها .. ونستلهم أنوارها ...

ثم هيا أيها المسلمون . نحـــارب الفوضى .. نقاوم الخلاعة .. نحطم الميوعة .. التي سرت بين الشباب فدنسوا الكرامة ولوثوا الأخلاق ...

ثم هيا أيها المسلمون .. نعلنها حربا ضارية .. نطلقها صرخة داويـة ..

نفجرها صيحة عاتية . على كل بدعة .. على كل باطل . على كل انحراف والحلال ...

عندئذ تتحسن أمورنا .. وتشرق حياتنا .. وترتفع رايتنا .. ويعود مجدنا .. ويرفرف عزنا .. فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ...

عندئذ يرضى الله عنا .. وإذا رضي الله عنا .. أعطانا من خزائنه التي لا تنفد .. وأفاض علينا من رحابه التي لا تضيق .. وينفخ فينا من قوته التي لا تهزم .. ويمدنا بطاقات خارقة .. وقدرات قاهرة .. فإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ...

عندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ويتحقق وعد الله .. وما النصر إلا من عند الله ؟...


الخاتمة

وبعد أيها القارىء العزيز فهذا مؤلفي قدمته إليك .. ليكون بين يديك .. حجة تقاوم بها الإلحاد .. وترد بها على المجادلين .. وتدفع بأدلتها شبه المبطلين .. وليبقى معك معينا ترتشف منه رحيق الحق .. وواحة تتفيأ في ظلالها إذا ما اشتد قيظ الحياة .. وخميلة تنشد تحتها راحة الإيمان.. وصديقا ترى فيه الأنس والوفاء والولاء .. وإلى الله الكريم نتوجه بالدعاء.. أن يلهمنا الرشاد .. ويمنحنا السداد .. ويكتب لنا الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة .. ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .. إنه سميع مجيب ...

« وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب » ..

المؤلف

جابر حمزة فراج

من العلماء

الفهرس

نحن لا نحارب الحرية لأنها مصونة بأمر الله وحكم الاسلام ولكننا نصادم الانحراف ونقاوم الشطط ونحارب الغلط ونقف بكل ايماننـــا امام الدعوات الباطلة التي تريد ضرب منطقتنا المؤمنة بالله في صميمها عن طريق تجريدها من دينها وعقيدتها وهدم بنائها النفسي وهي تخوض معاركها وتعيش اشد لحظات تاريخها وتقاوم ألد أعدائها الذين تجمعوا عليها مـــن كل جانب ليأكلوها ويقضوا عليها .. إننا نقف بثبات أمام أولئك الذين يتشدقون بحرية الفكر وكرامة العـــلم ليشغلوا بها الناس عن معاول هدمهم التي يحاولون بها تقويض المجتمع العربي والمجتمع المسلم ، والهبوط به إلى درك من الحيوانية يائس من الله حتى لا تتوافر له اسباب النصر في معركته المصيرية التي يخوضها ..

إنها ليست حرية فكر ولكنها حرية كفر .. إنها ليست حرية تفكير ولكنها حرية تكفير ...

على المفتونين بالعلم بعيداً عن الله وقدرته أن يضعوا أيدينا على خلق من خلق العلم . هل هو الذي أوجد القمر ؟ هل هو الذي اجرى السحاب ؟ هل هو الذي خلق الكواكب ؟..

من كلمة فضيلة الشيخ
محمد فهيم أبو عبيه